

تصانيف

أصبح الرجوع الى التراث من التقاليد والتقليد كذلك . لا سيما في السنوات الاخيرة ابتداء من الستينات . ولعل اخطاء شيوع ذلك الرجوع اصبحت أكثر من الاصابة فيه . ومرد ذلك - فيما نحسب - يعود الى موقف « الراجع » ذاته . فما هي دواعي ذلك الرجوع عنده . وما هي المعايير التي من أجلها التفت الى التراث ولماذا ؟ هل الدواعي هي العودة الى المنهل كسبا لدفع جديد دون ان يناله بتر او تحده عراقيل ؟ ام ان ذلك مظهر من مظاهر الحداثة والمعاصرة هو اقرب الى « التصابي » في الكتابة منه الى « التصابي » في انعم . ومثلما يصح « التصابي » الاول الكثير من الاسفاف والتمحل والبعث عن الاصاله وحتى الذوق ، فكذلك « التصابي » الثاني ترى فيه الكثير من المساحيق التي لا تغطي التجاعيد ، أو الجلابيب التي لا تخفي الترهل أو حتى « الدلاء » التي تنفر أكثر مما تجلب .

وتبحث عن علة كل ذلك واذا هي على قرب بادية الوضوح ، سهلة التفسير والادراك لان اغلب اولئك « الراجعين » مدفوعون اما بذلك « التصابي » الذي ذكرنا ، أو مأخوذون بهزة « الموضة » العابرة وقد اغراهم بذلك موج التيار الجارف الذي صاحب تلك الهزة . ومما زاد من استفحال ذلك أن « اجهزة التلقى » كانت هي - كذلك - مأخوذة بعدوى التقليد والمحاكاة . ومدفوعة بسرعة السبق لا تخضع لرقابة ، ولا تنقيد بضبط . وحسبها ان تنشر وتذيع حتى لا تتهم بتقصير او عرقلة المواهب .

ان الرجوع الى الماضى واستيحاء ما فيه ليس من السهولة التى قد تبدو ، ولا من البساطة بحيث نقبل عليه دون تمحيص وفرز ، ودون هدف وغاية . وكان على رواد الثقافة العربية المعاصرة ان يعتنوا لذلك ، ويضعوا المقاييس لتحديد الحد الادنى الذى عليه ان يتوفر فى تناول التراث باحياء ، والاستيحاء . اما ان نقبل الماضى بكل ما فيه فذلك يتناقض حتى مع تقييمنا للحاضر الذى نعيشه لاننا لا نرضى عن كل ما فيه اذا لم نقل : ان محل الرضى من ذلك قليل .

وكم نحن فى حاجة الى تقييم ما جربناه نحن فى نادى القصة وعلى صفحات مجلة « قصص » فقد قدمنا محاولات فى ذلك الرجوع وذلك الاستيحاء ولكننا وقفنا منه - فى الغالب - وقفة المتفرج . واذا كانت المحاولات اصابها بعض الفتور فلعلنا بهذه الاشارة اوجدنا الاثارة فالى كل الاخوة نقادا او آخرين نتوجه بهذا التصدير عسى ان نلقى التجارب ونعود الى سنة درجنا عليها ، ولا يحسن بنا ان نقف عند خطوات العبو .

قصص

كذلك يقتلون الأمل

— 1 —

بيني وبينك هذا البعد يتمطى كالصمغ في القيلولة ذات الشرار .
مشدود إنيك أنا وعينك ما تبرحان عالقتين بالقطار الذي تحرك قسراً
في موكب التشيع . يا ليتك جلست إلى جانبي ، على هذا المقعد الخشبي ،
وسط هذا القن الذي صار فيه الدجاج خاملاً تحت أرجل الفلاحين
الحفاة ، هؤلاء الذين لا يفتأون يبحثون عن مقعد أو موقف يحويهم
في أية عربة ، حتى نهاية الرحلة . الرحلة بعيدة ، أنت تعرفين . ولكنها
الآن ، وفي عيس هذا اليوم ، تبدو أبعد من كل توقع أو تقدير .

الآنك وقفت ، هناك ، تحت فيء السنديانة النابتة في الغربة بين
أكوام الرمال والحصى ، إلى جانب قضبان صدئة ومسكك عفراء ، تجاه
كوخ خشبي أعزل قد اندس فيه بائع تذاكر السفر ؟ أم لأن السماء
رمادية ، تهيم على السهل يمينا وشمالا ، لتضغط أجواء الحقول التي
لما ينبت بها أقحوان ؟ أم لأن طائرين يحلقان في استرخاء ، ينقان ،
يصعقان ، حتى يشتد ضيقهما بالفضاء فيقتلان فتينائر ريشهما الفاحم
قبل أن يحط على سطوح البيوت المترصة في السكون الآسي ؟

هذا الشتاء أعرفه ، ثقيل وهذا البلد أعرفه ، أثقل والأثقل من
الظرفين هذا الابتعاد الذي أدركه يربطني بك أكثر فأكثر ، حتى عندما
اندس القطار في نفق ، تحت هضاب الدفلى ، لعج في ظلامه الهابط
فجأة ، حور عينيك مشحونا بالعتاب .

الآنك كنت واقفة هناك ، تحت السنديانة التائهة خجلى ، ولا حراك ؟ ما الذى كنت تقولين ، وهذا البعد صار يشحط ، بيننا ، ليدنيني منك ، حتى لكان شهرين عشناهما معا ، في متاهات القرية الرابضة في سفح الجبل الأسود الساكت ، ما كانا سوى فصلين حرّكا ساكنينا فتوحدا حتى ساعة الفراق ؟ ما الذى كانت تقول عينك ، وقد منعك عن اللحاق بي كما منعني عن العودة إليك انتصاب هذا الشرطي في المحطة إلى جانب الكوخ الأعزل أولا ، ثم في العربة إلى جانبي على المقعد الخشبي ؟

يا أم ! ما أقرب هذا البعد ، وأنت تسبين رحلي ... بلظى عينيك الملاحقتين .

— 2 —

عيون الأطفال التلاميذ ، كم عددها ؟ أحصيتها فتكاثرت .

هذه المدرسة بها أربع قاعات ، وروادها جماعات من يوم الحشر ، يأتون إليها من كل فجّ رغم انغزالها ، ورغم فيضان الأوحال في المسالك والدروب .

تُفَرِّقُ أبواب البيوت في صمّاخ صباح صرد ، فينبسرون مهرولين بين نتوءات الحيطان ، فيتجمعون في البطاح وعلى الهضاب ، ويجدون في السّير نافثين بخار لهائهم ، وعيونهم مشدودة إلى أسراب الطير المهاجرة إلى الجنوب .

الهجرة !

كان هذا محور لقائنا في ذلك الموعد الجديد . ظل كل واحد منهم يحملق طيلة ساعتين تجاه ورقة بيضاء . فلم أسمع تمللا واحدا في أذهانهم لم أسمع سوى طفل وقف فجأة وقال :

— لم أهاجر بعد ، يا سيدي . فكيف أحدثك عن الهجرة ؟

سكنت أنا حتى هبوط الليل .

— 3 —

الليل كان جائها فما تحملته السطوح فثقلت على الجدران . الجبل كان يلتذ رذاذا . والسّماء غابت .

أنت وحدك ، تحسّست الأرض وطينها بقدميك الحافيتين المشقتين ، وتسليت في جهل العتمة ، ولا تعثر ، حتى طرقت بابي بيد معرقة العظام . لم أتم بعد . كيف كان لي أن أنام وهذا الفانوس الأعشى يخطرني بقتام السكون خارج البيت وفي قلبي . إنه الومض المؤنب . عنيد ، وبليد في أغلب الأحيان . إنه اللسان الهادي . فضولي . ملحاح وهو الأذن الراصدة . نهم . لا يروى إلا بحكايات الأطفال ، تلاميذي ، تلك التي قرأيتها على مسمعيك ، ليلة ، فغضبت .

عنفت الباب . أعرف أنني أكسل المسهدين . لكنني في تلك الليلة الحانقة على غياب النور ، كنت لا أرضى حراكا . ولم التحرك وقد بات كل شيء خاملا خامدا جامدا ، حتى مخيلة الأطفال ! صرخت . أنت صرخت . وركلت الباب . أنا المدرّس ، صاحب المرتب الذي لا يرضى به عابر السبيل صدقة ، خشيت أن أكون مدفوعا إلى إصلاح ما قد تحدثينه من شرخ ، والخشب كما تعرفين أرفع ثمننا من تحمل الإزعاج .

وقفت . أنا وقفت . وقصدت الباب . مسرعا . مرتبكا . بدون غضب . تعودت . ألا أغضب . أنت تعرفين أنني لا أهتم . إلا بتوفير مال من راتبي في انتظار تحقيق أمنية الزواج والبيت والتلفزيون الملون . أما هجومك علي ، في تلك الليلة المبتلة ، وتحديقك في بعينين حوراوين لم يحتلها الظلام ، واندفاعك نحو السرير الأوحده المفروش بفرو شاه ،

حيث جلست في هالة من البلبل جعل منها الفانوس الأعشى قلادة حبيبات
مذهبة تقاطر مع أنفاسك الهوجاء ، كل ذلك انبرى في ذهني كتعويض
عن فقدان الخيال في أوراق تلاميذي .
-- أريدك ...

قلت لي ، يا أنت التي كان الفانوس الفضولي يحفر في وجهك أحاديث
لم يهتد إلى تخطيطها العمر .

... أريد منك أن تكتب في الحال رسالة إلى ابني .

— أنا ؟

— أجل ! ومن غيرك ، في هذا البيت ، يعرف الكتابة ؟

— أنا ؟

— أنت ، ولا أحد غيرك .

ملعونون أولئك الذين وصفوك بالخبيل والخبيل . لم أفكر طويلا .
فقد حجبت الدهشة عن ذهني كل خاطرة تجمع للتخييل . غير أن صور
القرويين الفلاحين التجار العاملين العاطلين أهلك هؤلاء الذين جئت أعلم
صبيانهم ومضت بشاشة ذاكرتي طوال اللقاء ، وكلماتهم كوقع المطر ،
ظلت تتابع انتباهي إليك .

قلت :

— لي ولد في سنك . لكنه لم يعرف القراءة أو الكتابة . أَرْضَعته
غذيته وعلمه أبوه حراثة الأرض . تعلم حرث فحصد . فصار ينال
وينفق . إذ ذاك ... صارت حاجتنا إلى المال بيئة متنامية وصرنا نبحث
عن التخلص من استمرارية العمل في أرض غيرنا لتنمية غلتها دون زيادة
الكسب . فكرنا . تحدثنا بصوت هامس عن ضجرنا من تبعيتنا لأصحاب
الأرض ، صرخنا قلنا نحن كذلك نحيا . كان شوقنا إلى التصرف بذاتنا

في ذاتنا أكبر من فرحنا بالمحصول المالي القار . في الحقيقة ، لم يكن عندنا اختيار . انتظرنا كرهنا أنا وابني - أما أبوه فقد مات - التعامل مع كل الذين يعدوننا بالغنم الوفير وأنفسهم يعدون ، ولو كانوا من بني العم أو من بني الخال .

كان ابني يردد جملة واحدة قرأها له ذات مرة رجل في مقهى : « زمن الإقطاع قد ولّى » لم أكن أفهم قصدها . كنت أدرك فقط أن ابني هو الذي انقطع عن العمل في الحقول منذ صار يدخل سقاير كثيرة يبقى شاخصا في لولب دخانها . قربت المسافات ، مع مرور العربات والشاحنات والحافلات على ذلك الأفعوان الذي يسمونه اسفلتا . صرنا في بيتنا المظلم واجمين ننصت إلى المذياع انتبه ابني قال : أسافر قال : لم لا نبيع خدمتنا لمن لا نعرفه ولا يعرفنا ، فلا يهزأ بحالنا بالوعود تارة وبالوعيد . سافر الولد . وصرت متباهية بغيا به ، فخورة بطول المدة ...

لم أجب . لم أتحرك . بقيت وقفا ، شاخصا في حبيبات المطر تغازل أخاديد وجهك . لم أفهم .

حدثني عنك شيخ مهذار - لنفترض أنه صاحب المقهى المشرف على ساحة السوق الأسبوعية - قال : « لا تغتر . ما هي إلا عجزوز لم تشبع نهما . دفعت بالمرحوم حتى اشتعل ليل نهار في مزرعة هذا وفي دكان ذاك . ومهما كان الشغل قاسيا في الشتاء وفي الصيف ، والاجر غير الذي يرضاه لم تكن تسمح له بالرجوع إلا إذا تحصل على المقدار الذي كانت تقرره لإشباع جوعها . ثم مات ... والمعتقد أنها قتلت يوم انهدت عزيمته ، فصارت تطارد ابنها بنفس النهم ... فلا يهملك إن رأيتها تخترق السوق حافية سافرة متوحشة ، فالجوع يأكل مدارك صاحبه . »

سألتك :

— هل تشربين قهوة ؟

قلت :

— لا .

ألححتُ . أنت أيضا ألححتِ . سكتتُ . ولم أكن أعرف بأي قول أقاطعك . فواصلت أنت .

— رحل ابن الكلب . ولدي في وقت أول إلى المدينة . تلك المدينة الكبرى التي كانت فيما مضى مقصورة على من يحمل إليها من قريتنا أكياس القرايين وقطعان الذبائح في زي الزفاف ، محصورة على من يذهب إليها ليعود بالهدايا . عندما دخلت مازنها مرارا وتكرارا ، قلت له : إن تحت هذا الدخان الذي نرى من فوق الجبل أرزاقا تقسم فسافر إذن سافر لم يشتغل هناك . كان كل همّه ألا يندفع تلقائيا حتى لا يغلط . هذا تعبيره في أولى رسائله . كأنه فطن إلى أن هذا التعبير هو الشيء الأوحده الذي أورثه إياه أبوه ، لا رحم الله له عظاما ...

قال شيخ آخر كان قابعا مع آخرين أمام مائدة الدومينو — لنفترض أنه كان في نفس المقهى المشرف على ساحة السوق الأسبوعية ، وإن كنت لم تمرّ في ذلك اليوم أمامه غير أنهم افتقدوك — ساخرا من شؤون الدنيا على عادة القاصدين دار الآخرة : « المرحوم أنك صحتّه وعقله . في البداية ، تحصيل على شهرة أنه أقدر عامل فلاحي : يحرث في سفح الجبل وفي الوادي ، يجمع بأصابعه ، يسقي بساتين الخضر ، يزرع أغصان الشجر ، يرعى الغنم والبقر ، يجمع اللوز إذا اخضرّ والمشمش إذا اصفرّ والخوخ إذا احمرّ حتى تصهده جسمه العاري شمس الحصاد . كان ذلك عمل قبل الظهر . بعد الظهر

كان عمله اضمنى . أولا يأتي إلى الطاحون ليستلم الدولاب من صاحبه ويديره بنفسه وقد تطايرت من حوله وفي فمه وأنفه وعينه وأذنيه غبرة جافة حרشاء . أو يذهب إلى دكان الحلاق المجاور لعمل حجاما عندما تصيب شمس القائلة بعضنا بوجع الرأس . أو يعمل بستانيا فحارسا ليليا عند الضابط العسكري زمن الاحتلال ، فالمعتمد أو رئيس البلدية أو الاثنين معا مادام أجره على الله . ثانيا - وهذا المهم لولا تدخل امرأته الشمطاء - هو لا يحتاج ولا يرمم مهما كان المحصول المالي زهيدا أولا واخرا .

تحركت أنا كان منديلا ذلك الجزء من القماش الذي التقطته من فوق - المقعد ؟ - ورميت به إليك . أنت التقيته بيدك - يدك أعرفهما : عروق خضر بدون دليل موجه ، يصعب على الرحالة أن يهتدوا ، اذا حاولوا ، إلى طريق قلبك - واستشفت في شعرك وفي وجهك حبات المطر

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

صار صوتك جليًا . لأنني نسيت الدهشة .

- لم يندفع . كان خذلانا تطوح يمينا يسارا لكنه لم يعمل ... أي شيء . اشتغل أي شيء . ولكنه لم يكن العامل الذي اتفقنا أنه سيمثل به تنظيمًا ، سيرة راتبا . كان يسكر في النهار ، وفي الليل ، أحيانا ، ينام على أسمنت مركز الشرطة (شكرا للشرطة التي فتحت مراکزها لمن تشرّدوا مثل ولدي) . صارت الشرطة أمه ، يوم يحتاج إليها يجدها أقرب مني .

يطول الكلام الرتيب . ذاكرتك تغذيها السذاجة بلغو غيبس : أجلس أنا على المقعد . تجاه صفحات بيضاء تسودها أسطر من حبر تلاميذي . وتجاه نظري والتواء عنقي إليك . ثم .. ماذا تريدین ؟

— منذ أن ركب الباخرة صرت أريد شيئا واحدا . أن أعرف أين هو . ماذا يشتغل او ماذا يفعل وان كان بحاجة إلي . وإن كان قد أصبح قادرا على أن يلبي حاجتي إليه . أليس هذا من حقي —

— « لا » —

لم أجب أنا . ولم تجبيني أنت . هذى شظية من جواب أول داخل إلى المقهى — لنفترض أنه دائما نفس المقهى حيث كنت جالسا أنظر إليك جالسة في التراب أمام باب مكتب البريد المغلق — وسمعتها — هل تسمعيها ؟ — معا . ولنستمع :

— « لا . غير معقول أن نخفي عنها الحقيقة . ابنها مات . فلماذا فنصت إلى ثرثرتها وهي تملي علينا رسائلها أو نتحمل حمقها وهي تسألنا عن أخبار المغتربين . أنا شخصيا أرفض أن أكتب مرة أخرى رسالة إلى رجل اختفى واضمحل وصار تحت أشجار من التراب ، وإن كنت الكاتب العمومي الأوحده في دياركم » .

لا أذكر إن كان سكوتي قد طال . أذكر فقط أنك أغضت عينيك لحظة وشدت رأسك بأناملك المهزولة قبل أن يفاجئني وقوفك الثائر : — أنت معلم . إذن متعلم . تقرأ وتكتب وتسمع المذيع . فلا يمكن أن تصدق أباطيل المنخذين المهزومين . ابني لم يمست . أعرف أنه حي مادام قلبي نابضا . وإن سكنت قلبي ، فإن ابني حي دائما ، لأنني غذيته ملح الأرض . ما هطلت مطر إلا طفا واشرب طموحه . فعلام الكذب ؟ قل لي . إلام النكران انطق بالحق . لماذا يريدون مني أن أقتل ابني بسكوتي عنه ؟ صحيح أنه لم يعد يرأسني ، لعله غوى امرأة فتزوجها . هذا من حقه . ومن حقه أيضا أن يشتغل عني بأمر بيت يريد أن يعمره بعيدا عن موطن عرف فيه الذل . ولكن يعسر علي

أنا ، أمه ، أن أقطع أمل في إطلالته علي في صبح أبلق . هو يعرف أنني محتاجة إليه . بل هو يعرف أنه محتاج إلي ، ليس لي رجاء سوى أن أراه يعود إلى القرية ليدحض الأباطيل . هو لم يمت . وأن يعود إلى موطنه هذا ليعيش سيّدا ويدفنني في تربة نقيّة يظللها البهار ، أمر لا بد أن يكون .

سكنت . تطلعت في عيني . جلستِ هادئة من جديد وقلت بحبال الحزن المخبلة في حشاك :

– اكتب إليه . أرجوك . اكتب إليه ...
وبكيت .

طويلة كانت تلك الليلة ، والمطر خارج البيت أغزر من دموعك .

ARCHIVE

– 4 –

اليوم عرفت أنني لن أستقبل الربيع في الحقول الممتدة حول المدرسة أعدت أوراق تلاميذي . وقلت لهم :

– أعيدوا الحديث عن الهجرة ، وتفكروا أمر المرأة العجوز ، تلكم التي تهزؤون من حالها الرثة كلما برزت في مساحة السوق .

قال تلميذ :

– لكنّها لم تهاجر !؟

قالت تلميذة :

– لكنّها مجنونة !؟

قال التلميذ :

– كذلك حدثنا أهلها .

قلت :

— ابنها سافر ولم يعد . حدثوني عنها وهي تنتظر ابنها .

قال تلميذ :

— لكن ابنها مات ؟!

قالت تلميذة :

— لكن ابنها لن يعود ؟!

قال التلاميذ :

— كذلك حدثنا أهلها .

قلت :

— لا يهمني ابنها . ولا تهمني عودته . حدثوني عما يحدث لو تحقق لتلك العجوز ما كان يمكن أن يحققه ابنها لو عاد .
سكت التلاميذ . لم يفهموا .
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

قلتُ :

— ألا يمكن أن يحقق أمل هذي المرأة أناس اخرون مقيمون أو وافدون ، موجودون أو منتظرون ؟

عندئذ دخل مدير المدرسة . وقف التلاميذ . أشار عليهم بالجلوس وإلى بأن أتبعه . تبعته .

في هذا اليوم لم يتنبأ التلاميذ بما يمكن أن يكون .

— 5 —

اندفع الشرطي داخل القاعة فأوقف أنفاس التلاميذ . انسحبت مخيلتهم في تلك اللحظة التي اندفع فيها الشرطي نحوي مشيرا علي بالخروج في صمت .

كنت قد سألت التلاميذ أن يحرروا نصاً يذكر فيه كل واحد منهم شخصاً غائباً ، قد رحل وراء الحدود منذ زمان واختفت أخباره ولم يبق مؤشراً لحياته سوى الشوق إليه والأمل في عودته . تطلعت في صفحاتهم البيضاء المرمية على المناضد المزركشة بشتى الصور والعبارات السمجة . شاهدت في تلك الصفحات البيضاء كيف بدأت ملامح وجهه — أنت تعرفينه — تبرز حية . التلاميذ هم وحدهم صاروا يذكرون ان ابنك سيعود . قال التلاميذ أو قلت للتلاميذ — من يذكر ؟ — :

« الأطفال لهم وحدهم حدس الأنبياء . والأنبياء يبشرون قومهم بما يحتاج إليه طموحهم من بارق سعد . »

التلاميذ الأطفال ! ماذا فعلوا بعد أن قادني الشرطي إلى مركز الشرطة ؟ اخر عهدي بهم : كانوا يحدقون في الشرطي تارة وفي يدي المقيدين طورا من وراء زجاج النوافذ . وكنت أبتعد عنهم — إلى أين ؟ — وفجأة ، في البعد ، التفت مرة أخيرة إلى المدرسة ، فرأيت ألف وجه خلف النوافذ الزجاجية ، لها نفس التقاسيم والسمات ، ترميني بنفس النظرة الحبل بالغيض . كان وجه ابنك متعددا . وكانت نظرة ابنك من خلف الزجاج ، هناك ، في البعد ، تلاحقني بوعيدها المر الذي سيندلع حتما في صبح — أبلق ؟ — من أصباح الشتاء من وراء الجبل الأسود . — اجلس ...

هذا الصوت أنت أيضا تعرفينه . رئيس مركز الشرطة كان قد دعاك قبلي . لا أدري ما الذي طلب منك . ولكنّه ، عندما دفعني الشرطي إلى مكتبه . نظر إلي طويلا ، خزر وحدق ، ثم ابتسم ساخرا وقال : — اجلس .

جلست . كان شخصان اخران يجلسان في زاوية مظلمة لم أتبين هويتهما . أظن أنني لم أكن أنبين أى شيء لشدة ما علق بذاكرتي من

وهج تلك العيون التي لم أزل اذ ذاك أراها وراء الزجاج ، وامضة . لم أكن أسمع إلاّ أصوات المستنطقين :

— حضرة المدرس ! هل أنت مدرك أنك أقدمت على أشنع جريمة تقترب في حق هدوء هذه القرية ؟ نحن نكبر فيك إنسانيتك لا محالة ، مثلما نكبر مجهودك المهني غير أن هذه الإنسانية ، اذا لم تعرف حدودها المرتضاة ، تقودك حتما إلى افساد من كنت تظن أنك تحسن إليه ...

العيون ! ألف عيّن ! ألفان ! مائة ألف ! بدأت تذيب الزجاج بحرّ تأملها ، بحدّة تطلّعها . هل يتملل الجبل ؟ ماذا أقول ؟

— ... كم من مرة نبّهك مدير المدرسة (إذن فهو مدير المدرسة ذلك الجالس في الزاوية المظلمة) وصاحب المقهى (أهلا وسهلا يا صاحب المقهى المشرف على السوق الأسبوعية) إلى ضرورة الإمتناع عن تحرير أي رسالة من رسائل تلك العجوز الهابلة الهبول . لا شك أنك لاحظت جنونها . ولا شك أنك أدركت أن ابنها لن يجيئها أبداً أبداً . إنه مات . ونحن نملك كل الوثائق المثبتة لوفاته في بلد غير بلدنا ، على أرض غير أرضنا والحمد لله ...

العيون ! بدأت تحمرّ ، نحتجّ . اختفى الزجاج نهائيا . ما للقرية قد وجمت ؟!

— ... أنت الشخص الوحيد الذي مازال في هذه الديار يلتذّ العذاب الذي تعانيه العجوز المرنّوة . استهوتك اللعبة فصرت الناطق باسمها ، تكتب في كلّ ليلة رسالة لشخص لم يعد له عنوان ، تسأله الرجوع فورا . فهل مسك شيء من سُخفها ؟

وقف الشخصان في الزاوية المظلمة . قال أحدهما :

— إنني أشهد بأنه جاد في التدريس مجتهد . راقبته مرات وامتحنته ، فكان على غاية التنظيم والمعرفة . لكنّه في المدّة الأخيرة بدأ من حين

لآخر يوقف الدرس ليتحدث إلى التلاميذ عن العجوز ، عن ابنها ، عن الغربة ، عن المنفى ، عن العودة ، وعن أشياء كثيرة لا أخال التلاميذ يفهمونها . وقف الشخصان في الزاوية المظلمة طويلا . قال الآخر :

— هو زبون جيد ، يشرب ويدفع ويبقى ساعات طويلة هادئا ، ساكتا ، ساكتا ، يراقب الرائحة والغادي . ثم جاء يوما إلى المقهى ، صعد فوق منضدة وصار يصرخ بأعلى صوته . كان يقول إن من واجب أهل القرية أن يبحثوا عن ابن العجوز ، وأن يعيلوه إلى القرية ، لأنه العنصر الذي من شأنه أن يعيد إلى هذه الديار جذولها وجذلهما وإلى هذه الأجسام جذولها وإلى هذه الأذهان جذلهما . كان يقول إن العجوز في حاجة إلى ابنها . لا لتستغل الثروة التي قد يعود بها . لا لتدفع به إلى العمل المضني حتى الموت كما فعلت مع أبيه . لا لأنها لم تشبع نهمها من الدنيا . ولكن أيتها الناس — هكذا كان يقول — لأن لهذه العجوز مأملا هو مأمنا . وكلكم لكم أمل ، ولا مأمنا . فالأمل مكبوت مقهور ، وكلكم مكبوتون مقهورون . ومن حقكم ومن حقها أن يتحقق هذا الأمل لدحض كل ما يحول الآن عقوا أو عمدا دون مواصلة الرجاء .

العيون ! كم صار عددها ؟ تحركت خارج النوافذ وخارج أسوار المدرسة . إلى أين ؟ تخترق زهول نثوءات الجدران ، وتعفس انكماش الوحل . إلى أين ؟ إنها لا تعبأ بصوت رئيس مركز الشرطة وهو يصبح مرة ثانية .

— كلام حلوا . لكنه كلام . كلام فارغ هل تتصور نفسك تعطف على هذه العجوز أكثر مما نعطف نحن أهلها على حالها ؟ أنت ، الدخيل ، أنت ، المتعلم مفاهيم غير مفاهيم سكان القرية الطيبين البسطاء ؟ إن « كبتك » و « قهرك » لا يعنيان شيئا بالنسبة إليهم . فهم عاثون في رضا تام ، لا أمل لهم سوى أن يلحق يوم جديد ليلا شتائيا باردا . فما الذي سيأتي به ابن العجوز لو عاد كما تتصور ؟ ...

العيون ! ملايين العيون ! انتشرت في شوارع القرية وعلى السطوح .
 حمراء وامضة كالجمهر . تدرجت على مدى الرؤيا كلعاب البركان .
 - ... أنت تتجاهل أمرا أهم من العاطفة التي قد تربطك إلى العجوز .
 أنت متعلم وتعرف جيّدا أن واجبك يدعوك إلى التعقل وإلى إقناع هذه
 المرأة بالتعقل . كان عليك أن تبين لها كيف يستحيل عليها أن تبقى
 منتظرة ابنها الذي مات ودُفن . نحن كنا مخطئين في أول الأمر . لم
 نبلغها الخبر رأفة بها . بقينا زمنا نجاريها ونحرر لها رسائل إلى ابنها
 نعرف مسبقا أن رئيس مكتب البريد سيسحبها ويعيدها إلينا . لكننا
 بعد طول المدة ، ضجرنا من اللعبة . فأخبرناها بحقيقة الأمر . ابنها
 مات . مات . مات . وليس ذنبنا إن كانت هي لا تصدق . وليس جرمنا
 إن امتنعنا نحن عن مواصلة الخداع .

قال الشخصان الواقفان في الزاوية المظلمة :

- لقد سئمنا أن تكون هذه المرأة العجوز هاجسا أهبل في الليل
 وفي النهار يشوش اطمئنان القرية إلى الحاضر والواقع والحقيقة الثابتة .

وقف رئيس مركز الشرطة . نفخ أوداجه ، شحن عينيه ، فتح
 منخريه ، أوسع فمه ، وأوقد نار الكلام فأوهج ، فأوغر :

- لقد حكمنا عليك ...

لماذا تحكمون علي ؟

- لقد حكمنا عليك ...

من حكمكم في ؟

- لقد حكمنا عليك ...

أعترض على حكمكم .

- لقد حكمنا عليك ...

أرفض .

— لقد حكمنا عليك بالرحيل فورا .

وانطفأ النور فجأة لآن قصير جدا .

ثم شعّ لهيب ملأ المكتب بملايين الأجرام والشهب الناصعة
جداً جداً جداً .

تململ الجبل . وانهدت ديار القرية . وفي الوادي فيضان يجرف
السوق الأسبوعية والمقهى ومكتب البريد ومركز الشرطة وفانوسا كان
بيتي تحطم .

فقد انفجرت

..... مخيلة

ARCHIVE

http://ArchiveBot.Sakr.it.com

..... الأطفال

..... أخيراً .

وأنت ؟

ياأنت ؟

أينك ؟

— 6 —

المقهى : يحلو الصمت إذ يخلو جوفي . وفي الركن مازالت تدوي
صرخات المتلهين بالخصام من أجل عدم اتفاق حول تقييم
أوراق اللعب ومرارة اللعاب . الآن أدرك أن هذا الدوي هو
إكسير اضطباري في بارد الليالي .

مكتب البريد : أحلام هذا في رسائل تلك . مات الوعد . ها هي إلا طلبات أكبر من القدرة على اللحاق بها في طرد مضمون الضياع .

السوق : ما الذي يلبسونني في صباح الغد ؟ حتى عرائسي لم يعدن يحصين حليهن . ولكن ... ما لكلب الطباخ يديم النباح ؟ المدرسة : تهشم الزجاج . خشيت تسرب الهواء البارد . ارتجفت لأن حرارة تموجت في رعونة أحشائي الساكنة ، مصدرها حبر على ورق على مناضد مزركشة تحليها عبارات اليقين . غدا يعود إلي الأطفال فأشكرهم .

الجبيل : القرية أحضنها فتنام ، ما عدا مكتبا في مركز الشرطة . وفي الأفق أرى فارسا يأتي ، يمرغ وجهه في سبيكة من الصقيع ، ويتعلق بهذب الشمس الأول .
السنديانة : صفير القطار ، ما أبغضه .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

القطار يأخذني بعيدا عنك . إلى أين . وفي الحقول نبتت عيون . وفي السماء تلاحقني عينك عبر الجبال والسهول . وعين الشرطي تراقبني إلى أين ؟

إلى أين ؟

إلى أين ؟

(سمير العيادي - بيروت - تونس . مارس أبريل 1980)

موائد

كان النور الباهت ينبعث من الفوانيس البيضاء ، فينصب على الغطاء الابيض والكؤوس المملوءة منها والفارغة ، وعلى الاكتاف المملوءة منها والهزيلة ، وعلى الرؤوس المملوءة منها والفارغة .

كان يمعن النظر فى الزهور التى تزين الطاولة . وكان يسرح بفكره الى البستان حيث زرع البستاني زهورا تشبه هذه الزهور الا أنها أكثر عددا من هذه التى أمامه وأقل تبرجا ، لان سيقانها اعتادت التراب ولم تعرف زجاج الكريستال .

قال السيد الجالس الى جانبه وكان فى الستين من عمره تقريبا :
- ليلة لطيفة ما رأيك ؟

أجابه وهو مازال ينظر الى الزهور التى تتدلى على عنق الزهرية :
- أجل ليلة لطيفة . ان ليالى كهذه تبعث بك الى الشعر حقا !

كانت القصيدة التى بدأها الليلة البارحة مازالت كلاما متقطعا ، وكان قد أجهد نفسه فى ولوج الكلمات التى تعطيها نفسا موسيقيا الا أنه لم يستطع وتركها كلمات جوفاء تنام بين الاوراق .

كانت الكتابة بالنسبة له جهدا متواصلا : أوراق مبعثرة ، أسطر تتجمع ، ثم تنفجر فترهب نفسه .

نظر الرجل اليه وفى عينيه شئ من الدهشة ، وكان قد نسى الشعر منذ سنين واتكأ ما تركه له والده ، وأصبح لا يتعامل مع الكتابة والقراءة الا نادرا .

تأمل المائدة المستطيلة وهي تشبه الموائد التي يشاهدها على شاشة السينما فرآها تلمع مشرقة وكان المدعوون الجالسون على نواصى المائدة ينظرون الى بعضهم بعضا ، وكانت السيدة الاخيرة على اليمين تحدث السيد الجالس الى يسارها :

- لم أعود أكل هذا النوع من السمك !

قالت فتاة جالسة على كرسي يتوسط المائدة وشعرها يغطي أسفل وجهها :

- ان هذا السمك ليس سمك بحر . وانما هو سمك الانهار وهو يتطلب كثيرا من الازار حتى يصبح لذيد الطعم .

كان الرجل الجالس الى يسارها غير مكترث بحديثها وانما كانت عيناه فاغرتين تتكئان على صدر السيدة الجالسة قبالة : جميلة كانت وصامتة . وكان يخيل اليه - كلما نظرت نحوه - أنها تحدثه فى صمت فيبتسم ملء عينيه .

أتى النادل يحمل طبقا من الفضة يتربع فوقه خروف محمر يحمل بين شدقيه غصنا أخضر يانعا جميلا . وتناثرت رائحة اللحم فى الغرفة ، فدأبت أنفه وتأمل السيد الجالس قبالة وهو يفرك أصابعه .

كان ذلك اليوم شديد الحرارة . وكانت الشمس تملأ أنحاء المكتب الحالى من الستائر . أخبره الرجل الجالس وراء المكتب : « مشكلتك صعبة الحل !! » .

توارت الشمس وراء سحب دكناء . وغطست رجلاه فى الزريرة القيروانية التى تكسو أرض المكتب . وأحس بصدرة يضيق ، يضيق !

قالت الفتاة الجالسة فى الناحية الاخرى :

- يجب أن أجد حلا لمشكلتى . السيارة ... السيارة .

قال الرجل الجالس وراء المكتب ، العريض الطويل :

- الا أننا سنحاول .

تعددت الشموس فى المكتب : شمس على بلور المكتب .. شمس على

بلور الساعة الصغيرة المنتصبة فوق الرف على يمين المكتب .. شمس في
عيون الرجل الزجاجية ، وشمس تصبغ بلور النافذة التي تدعوه الى القفز .

تململ الرجل .. تحركت جفونه .. تحركت نظراته .. نظر اليه نظرة
بلورية ، ابتسم بسمة معروفة مسح بحدائه على الزربية القيروانية المفروشة
على أرض المكتب . واكتملت الصورة فازدان الحائط ، اذ اعتلاه الاطار .

كانت يدها تمسكان الشوكة والسكين ولحم الحروف يتضائل وسط
الصحن الخزفي المذهب . وكانت وقفته وسط المكتب تتضائل ، وأعضاؤه
كانت تتفكك .

شعر بمرارة القهوة السوداء التي تملأ الفنجان الجميل الرابض على
المكتب يريد شيئا من السكر أو كوب ماء .

وضع النادل كأس الماء أمامه فمسكها ، ترشف الماء ابتلع السائل
في شغف ، واندثرت الصورة وظهر الجدار عاريا ، أبيض ناصع البياض ،
فارتدى عليه يركله برجليه ، يسلخه ، يلطخه غبارا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakimil.com

قالت السيدة الجالسة قبالة :
- ما أجمل هذه الليلة ، وما أروع هذه المآكل !!

قالت ذلك ونظرت الى بقايا الحروف القابعة بالطبق الفضي ، فحوته
بنظرات طويلة معبرة .

تمنى لو يصبح هذا الطبق من الاطباق الطائرة . فيمتطيه ويسبح في
الفضاء بعيدا عن هذا الجو وعن هذه المرأة الجميلة .

قال السيد الجالس الى يسار السيدة الجميلة :

- مصطفة بيوتنا وأسرارها مبعثرة بين الازقة والحجر المكلس تذهب
مع الريح حين تطلبها وتناجى القمر عندما يطرق باب السماء .

انقشعت السيدة الى الورا ، وكان الاستخفاف ظاهرا في عينيها ...
تأملت ساعتها ، وأطبقت جفونها لحظة . ثم مسحت يدها اليسرى بيد
فاترة .

كانت النملة السادسة والسنتين قد دخلت الثقب الذى فى أسفل
الجدار .

ترك المكتب وانعرج الى اليمين ، حيث الرواق الطويل البارد المظلم ..
لفظته البناية الضخمة .. اتجه نحو المقهى العتيق حيث تهالك هناك على
الكرسى ، يترقب قهوة سوداء مرة .

كانت الارجل تتمشى فيصادفها الجوع عند مفترق الطرق ، وكان البرد
قارسا يتلاعب بالقلوب الحارة فيتحكم فى الزمان والمكان . صمتت الموسيقى .
وكانت تملأ الجو .. تعددت الكؤوس الفارغة .

تثائب وهو جالس على كرسى من الحرير .. أحس بالحمول ينتشر فى
أعضائه .. كانت السيدة الجميلة شبه نائمة . وتراعى له أنها مسنة نوعا ما
لان التجاعيد أصبحت أكثر وضوحا . وكان الرجل الجالس الى يسارها
ينظر الى السقف وكأنه يترقب شيئا .

شعر بالاوراق تنزاح على المكتب .. شاهد الصور وهى تتلاشى ، فتظهر
صور أخرى أكثر التصاقا به .. تذكر أشياء وغابت عنه أشياء أخرى -
تغير كل شئ : الكلمات تغيرت ، الاوراق تغيرت ، انها نوعية أخرى .

أخذت الانوار تتضاءل .. سمع الكراسى تدفع الى الوراء ، فهم واقفا
يقصد الباب .

نافلة ذهب

لقاء مع محمد الهادي بن صالح

كما يكون كل كاتب يمثل موضوعا للدراسة النفسية لكي يتوضح انتاجه أكثر لدى قارئه يكون محمد الهادي بن صالح موضوعا خصبا للدراسة لفهم دوافعه عند الكتابة هو الموظف الذي يجد في العمليات الحسابية اهتماما أساسيا يشغل وقته المهني وهو أبو العائلة الذي يتحدث عن مشاكله اليومية بكثير في عدم المبالاة ويتوصل دائما الى أن يخصص من وقته عشيا السبب لجلسات « نادي القصة » وساعات أخرى من يومه للكتابة وعندما يتحدث عن ذلك عرضا يبدو كمن يقطع أوقاته في اتزان وتوازن لكي يخصص منها للادب وجلسات المقاهي ومشاهدة الأفلام ما تحتاجه هذه النشاطات . ويبدو رغم ذلك أن رداءة الطقس والطوارئ العائلية لا تتدخل الا في مجال ضيق في تغيير هذا التوازن . وعندما يتحدث محمد الهادي بن صالح عن تلك المجموعات التي تولد وتذرب كالفقاعات والتي تتعلق في فترة ما بالكتابة وبالحديث عنها سواء في المقاهي أو في النوادي الادبية فهو يؤكد دائما أن الانسان في حاجة للدخول في فترة الحياة المهنية والحياة الزوجية لكي يتأكد من دوافعه التي تشده الى الادب لذلك عندما تذكر الاسماء التي أصبحت تبته على صفحات الجرائد أو المجلات الادبية يقول : ان ذلك ظاهرة عادية لان البقاء يكون دائما لمن يجد في أفكاره نفس عداء المسافات الطويلة ولمن يتوصل الى أن يقنع نفسه أن اهتمامه الادبي هو أكثر من ملء لاقوات لا يعرف كيف يصرفها وأكثر من بحث عن منفعة ما . وقد يكون الاديب كالنهر يحفر ويعمق مجراه في صمت واستمرار . وذلك ما يكسب هدوء محمد الهادي بن صالح مثابرة النهر بعد أن برهن من خلال انتاجه القصصي والروائي . أنه في حاجة الى أن يبلغ أفكاره بشكل يتجاوز فيه التأثير الزمن وتحولات الوسط الادبي

وانعكاسات الحياة اليومية . وقد يكون ما كتبه محمد الهادي بن صالح غير متميز وسط الساحة الادبية لعوامل ، خاصة بظروف التميز في هذه الاوساط ولكنه يبقى من القلة التي توصلت الى أن تتجاوز « عقدة النشر » لكي تضع في السوق أكثر من كتاب . وإذا كان الانتاج القصصي والروائي منه على وجه الخصوص لم يصل بعد المرحلة التقييمية الانتقائية نظرا لمحدودية الكم ولتفرده لدى كاتب ما فان أسئلة مباشرة توجه للكاتب وتتخذ كموضوع لها انتاجه أو مشاكل الكتابة القصصية قد تساعد في يوم ما على رسم ملامح هذه الفترة عندما تصبح مثل تلك الدراسات التقييمية أكثر خصبا كما أن هذه الاسئلة قد تساعد على عرض نموذج لتلك الآراء التي كانت في فترة ما تتعارض وتحتد في فضاء « نادى القصة » لكي تنعكس انتاجا قصصيا طبع مرحلة في الحياة الادبية لهذه البلاد .

1 - أسئلة جديدة (الاجابة ضرورية)

1 - التعريف بمحمد الهادي بن صالح .

I - محمد الهادي بن صالح مولود في 22 جوان 1945 بنفطة . تعلم بالمدرسة الابتدائية بنفطة . ثم بالمعهد الثانوي بصفاقس وبالمعهد القومي للتعاقد بتونس . دراستي كانت مختصة في الشؤون الاقتصادية والمالية . لذلك اشغل خطة رئيس قسم حسابات بالمركز القومي للجلود والاحذية . تزوجت وانجبت ولدين وبناتا . بدأت بكتابة الرواية وكان اول انتاجي رواية في بيت العنكبوت بدأتها سنة 1966 وانتهيت منها حوالي 1969 ولم يتيسر لي نشرها الا في سنة 1976 . اول ما نشرت في الصحافة قصة قصيرة بعنوان « تائه » . وتماديت في كتابة القصة القصيرة . حتى اليوم . كان اول كتبي « الحلقات الملونة » 1975 وفي سنة 1976 نشرت « في بيت العنكبوت » وفي سنة 1980 نشرت رواية « الجسد والعصا » آمل نشر بقية روايات جاهزة « أحمر الليل » و « وثلاثية الالم » و « الوادي » . ومجموعة قصصية بعنوان « الجزاء » .

2 - يلتقي محمد الهادي بن صالح في بعض كتاباته مع البشير خريف (الدقلة في عراجينها) ومحمد الصالح الجابري (يوم من ايام زمرا) في رسم

ملاح وسط الجريد وفي وصف بعض الاحداث والشخصيات التاريخية لهذه المنطقة . هل يعنى ذلك صفة مميزة للقصة التى تتخذ من الجريد اطارا لها ام انها انعكاس للوسط الذى خرج منه الكاتب على كتاباته .

قد تكون صفة مميزة للقصة التى تتخذ من الجريد اطارا لها ولكنى أضيف أن هذا الاطار يدعمه ظرف زمنى ورقعة جغرافية ضيقة لاقلية بشرية مغلقة . فمن الطبيعى - اذن - أن تلاحظ ملاح هذا الوسط متداولة فى بعض الشخصيات وفى بعض الاحداث البارزة أو بعض المعالم الثابتة . هناك وحدة تاريخية وهناك حتمية اجتماعية . لكننا لا نجد اى رابط او اية ميزة شكلية بين هذه الروايات . وهنا تكمن اهمية الكتابة . وأهمية الكاتب .

3 - ماذا يعنى بالنسبة اليك التصنيف المدرسى للقصة « للقصة التاريخية ، الواقعية ، الواقعية الاشتراكية ، الخ ... »

لا شئ . هذا التصنيف من مشمولات النقد . فأنا كمنتج قصة لا يمكننى أن أتوقع فى اطار معين لاكتب قصة ذات طالع أو ذات نزعة حددها زمرة من النقد . فالكاتب يتعامل مع القصة فى صيغة الشمول .

4 - تعريفك للقصة القصيرة ؟ ما هى مقوماتها فى نظرك .

القصة القصيرة عندى لون من ألوان الكتابة العويصة . وهذا اللون له خصوصياته وله ميزاته . فأنا أذكر قول عباس خضر حول مسابقة للقصة القصيرة أقيمت فى مصر أنه قرأ حوالى مائة من القصص القصيرة فهاله ان هذا العدد الضخم ليس فيه مما يصح شكلا أن يسمى قصة قصيرة . هناك قصصا كثيرة ذات تعبير جيد واسلوب جيد ودلالة اجتماعية متينة وتعالج موضوعا هاما يشغل الناس . ولكن بناءها لا يمت للقصة القصيرة فى شئ .

فالقصة القصيرة تتميز بوحدة الانطباع وعمق الدلالة وقوة الایحاء . فهى ترفض الهذر . وهى ترفض التفكك وتقطع الحدث وضبابية الشخص و مجانية المواقف . هى أقرب الى القصيد والمسرحية منها الى الرواية . ولهذا كانت من الاعمال الادبية الدقيقة الصنع .

5 - هل يمكن ان تصنف قصصك القصيرة فى نطاق القصة الحدث ؟
(مثال : حكاية العصفورة المنشورة بمجلة قصص عدد 45) .

المثال صادق فى هذه القصة وفى قصة الزواحف . ولا أعتقد أنه صادق فى بعضها الآخر .

6 - فى نطاق مجموعة قصصك القصيرة « الحلقات الملونة » والقصص القصيرة الأخرى المنشورة بعدها يتضح السرد وصفيًا ، والزمن اقتطاعيا انتقائيا من جملة أحداث تعيشها شخصية أو أكثر أو هى تسترجعها من الذاكرة أو تحاسب لها نفسها فى عملية مخاطبة . وكل هذه الجوانب التقنية كانت تمثل شواغل كتاب القصة القصيرة فى تونس . فكيف ترى اليوم هذه القصة القصيرة وما هى اهتماماتها الأساسية وميزاتها الفنية ؟

فى أواخر الستينات كانت المعطيات الشكلية أهم ما يشغل كتاب القصة التونسية . ولكن اليوم اختلفت اهتماماتها مع اختلاف الزمن . لهذا اختلفت طرق كتابة هذه القصة باختلاف موضوعاتها . فالفرق واضح بين قصة « باب العرش » أو « المطاردة » . وبين قصة « حكاية العصفورة » أو « الزواحف » . وفى هذا الإطار اختلفت الاهتمامات الشكلية لتمكن بعض الكتاب من هذا الشكل . وممارسة الكتابة بنظرة جديدة ووعى جديد وبمعطيات فنية جديدة وبتجربة زمنية لها وزنها .

7 - فى روايتك « فى بيت العنكبوت » (نشر الدار العربية للكتاب سنة 1976) تبدو الجذور الاجتماعية للشخصيات طاغية على مواقفها وتفكيرها ومن خلالها تنعكس الاجيال وثنائية الريف والمدينة . فهل يعنى ذلك أن الجذور الاجتماعية للشخصيات ميزة فى ما يسمى « بالواقعية الاجتماعية » (؟) وهل ترى « الحتمية الاجتماعية » فى الرواية عاملا أساسيا فى خلق الحركة على مواقف الشخصيات ؟

الحتمية الاجتماعية هى أساس خلق الحركة فى مواقف الشخصيات . فالتأثيرات والمؤثرات هى دافع الحركة . ولهذا أيضا تكون الجذور الاجتماعية للشخصيات طاغية على مواقفها وتفكيرها . المجتمع هو الذى يحتم طريقة تفكيرنا وطريقة معاملتنا . فالإنسان مهما بلغ من قوة الشخصية فهو العوبة

المجتمع . وان حدث العكس يكون النشاط وتكون مأساة الانسان عندما يكون فردا . فالذين يعاكسون التيارات الاجتماعية هم الشواذ الذين تحدوهم رغبة الصمود ورغبة التحدى . وهؤلاء هم صنف الابطال بالسلب او بالايجاب .

8 - فى روايتك « الجسد والعصا » (نشر دار صفاء 1980) تبدو الجذور التاريخية للشخصيات تأصيلا لها فى وسطها الاجتماعى . كيف ترى توظيف الاحداث التاريخية فى الرواية الاجتماعية او الرواية الواقعية الاجتماعية ؟

توظيف الاحداث فى الرواية حتمية فنية . فهى مصدر الحركة القصصية ومصدر تطور الحدث الروائى ونمو الشخصية الروائية اضافة الى اعطاء الزمن وظيفته فى الحدث الروائى لكل لون من ألوان الرواية لا فقط فى الرواية الاجتماعية أو الواقعية الاجتماعية كما أشرت ...

9 - فى رواياتك التى نشرت وتلك التى فى طريقها الى النشر يبدو الجنس دافعا أساسيا لحركة الشخصيات فما يعنى ذلك ؟

الجنس أساس الخلق وهو الدافع الاساسى لحركة المجتمعات والتاريخ فهل بإمكان أى بشر أن يتصور الحياة بلا جنس ، فالدوافع الانسانية هى جنسية بطبعها . واذا كان الجنس أساسا دافعا لحركة المجتمع فكيف لا يكون دافعا للحركة الروائية . مع أننى لا أميل . الى رأى « فرويد » من أن كل التصرفات البشرية مصدرها دافع جنسى . ثم اننى لا أعالج الجنس على أساس أنه جنس . ولكنه منطلق لتصرف مخجل أو تصرف شريف . وهذا واقع الحياة . فلنسأل لماذا يكذب الطالب ولاى غاية . لنفتح رأسه فسنجد الدافع الجنسى أسبق من الدافع العلمى أو الدافع الفكرى . لهذا أعالجه كمصدر لحركة الشخص لا كمصدر اثارة بورنو غرافية . ففى كل رواياتى - تقريبا - لا نجد الجنس مصدر متعة ولذة بقدر ما هو مصدر اشمئزاز وقرى .

10 - زيادة على توظيف التاريخ فى القصة كيف ترى توظيف الاسطورة ؟

الاسطورة جزء من التراث القصصى لها وظيفتها فى كيان المجتمعات .

واضافة الى تأصلها فهي متجددة متطورة . فما أتى الزمن على حقبة منه حتى ترك لنا بعض أساطيره . وتوظيف الاسطورة فى القصة يرجع الى اهتمامات الكاتب ومقدرته الفنية فى استيعاب الاسطورة وكيفية الاستفادة من أحداثها. ولا أرى الاستفادة منها الا عند الضرورة الحتمية . لكننى أميل الى خلق الاسطورة ، اذا كان بإمكانى وقد حاولت فعلا خلقها فى روايتى « الجسد والعصا » فام يأت على النورى عفوا فهو المثال المصغر لعلى بن السلطان . ولم تأت « حيروس » عفوا فهى « المخبلة » فى شعورها . ولكنها أمثلة صغيرة على قدر حجم الجريد والتصور الجريدى للخرافة او الاسطورة . ولكننى لا أعتقد اننى وفقت الى خلق هذه الشخصيات بقدر ما وفقت الى وصف الجو الاسطورى السائد على طول مسافة الرواية فالاسطورة قد تكون دافعا للخلق كما هى جزء من التراث القصصى الذى لا بد من الاستفادة منه فهى هذيان الشعوب وخياله الخصب . وهى - بايجاز - ذاكرة الزمن .

11 - كيف ترى مستقبل القصة فى تونس ؟

على قدر أهل العزم تأتي العزائم . أعتقد أن هنالك مجموعة من القصاصين الموهوبين والمتعلمين فى تونس لديهم الايمان والمقدرة على الخلق . لا يخلقون تعلات لعشرااتهم ، ولا يكتبون أصواتهم بدعوى القمع أو الزجر . هؤلاء هم مستقبل القصة فى تونس . وهذا الجيل هو الذى يبنى القاعدة الحقيقية للقصة التونسية . والحمد لله اننا تجاوزنا مستوى القصة الواحدة عند النشر .

II - أسئلة غير جدية (الاجابة غير ضرورية)

1 - متى يولد الكتاب أدبيا ؟

- يوم ينتهى من الكتابة .

2 - هل الكتابة نوع من الحوار الذاتى فى مجتمع يوجه اهتماماته أساسا للخبز ؟

– الى مدى . فالسدد كان من ابائه لونا من الحوار الذاتى . ثم أصبح من الحوار المتبادل مع شىء من التأخير الزمنى والحمد لله ان كاتبه مازال يرزق .

3 – هل الكتابة على حساب الاوقات الادارية عملية مخجلة تجد تبريرها فى غاياتها ؟

– لا اعتقد ذلك . لنقر الكاتب كلاعب كرة قدم مثلا فعندها تصبح الكتابة فى الاوقات الادارية مشروعة .

4 – ما هو موقفك عندما تشتري شيئا ما تجده ملفوفا فى ورقة الجريدة التى نشرت فيها قصتك ؟

– أعيد قراءة القصة بنهم وأنا ابتسم وكاننى لم اكتبها وأتبرع باصلاح أخطائها .

5 – هل ترى فى ثروة المقاهى اجهاضا أدبيا ؟

– العكس أصح اذ هى اثرء للأفكار وتركيز لما هو ضبابى .

6 – هل تعترف لنفسك – على الاقل – بأنك بطل المشاكسات الادبية ؟ وهل ترى أن لطبيعتك الجريدية فضلا فى ذلك ؟

– هذا الذى لم أتصوره قط . فانا دائما أنفى صبغة البطل عن نفسى ولو فى المشاكسات الادبية ؟

7 – هل ترى أن الاضراب الادبى يمكن أن يكون موقفا ايجابيا ؟

– أرفض الاضرابات الاقتصادية فكيف أقرها أدبيا . اذ هى موقف العاجزين .

8 – ماذا اورثتك الكتابة من الامتيازات ومن العاهات ؟

– الجراءة . وتنظيف شعر لحتى وأنا أفكر فى الكتابة .

9 – كم يصلب الكاتب من مرة قبل أن يكتب وبعد الكتابة ؟ على قدر الكلمات .

10 – هل يمكن أن يصنف الكاتب مع الحيوانات المجتررة ؟

– طبعا .. الكاتب حيوان مجتر .. قوته الكلمات .

الجسد العارى والاوراق

عندما هبت الرياح كان الجسم منحنيا على نفسه ، وكان المطر متهاطلا بغزارة لم يعرفها أهل المدينة . وازدادت الرياح عصفا فتوقف الجسم عاريا ... عاريا تماما . ثم أخذ يشق شوارع المدينة فى صلف . وازدادت الرياح هبوبا فتوقف الجسم عند احدى الاشجار الباسقة فامتدت حوله مظلة من الاوراق أخذت تزحف شيئا فشيئا ، عندما كانت الريح تعزف لحنها الشجى العاهر . فتترنح الاشجار ويصيبها تشنج فتند بفروعها الى السماء تعانقها فى شوق يتضاعف شيئا فشيئا تحت موجة من الشبق الجارف .

وتتالت الاوراق تخلع من نفسها ستارا كثيفا للجسد العارى .

وكان الجسم - كما كنت أتخيله - نحيف الحصر ، مكتنز الروادف ، مخروط الفخذين .

وبكى الليل فى حزن بصوت رياحه المتعالية وكنت متدثرا بمعطفى أسير بين الشجيرات القليلة النحيفة تحت أشعة الفوانيش الصاخبة . وكنت - وأنا أسبر - أشعر بالقر يחדش أطرافا من جسدى ، وينفذ الى من مناطق مجهولة من معطفى الاثنيق ذى الياقة من الفرو وقد اشتريته فى احدى العشايا وكنت مخمورا من أحد شوارع باريس ، بخمسمائة فرنك . ولما عدت الى بلدى وجدت البورصة قد خفضت ثمنه الى مائة ، وان كان يباع فى الاسواق بألف ، فبكيت حظى العاثر لانى لم أكن تاجرا ولا ابن تاجر ، انما أن رجل ابن رجل ما وامرأة ما ممن لم تسجل الانسانية ساعة ميلادهم أو وفاتهم .

عبر المضيق الحاد الذى يفصل بين الكائنات التقيا ثم انفصلا ثم تواريا وكان ريحا عاتية هبت عليهما فلم يتركا لمروهما أثرا يذكر الا أنا .

وكان الكينونة والصيرورة والتلاشى سهت عنى فانزلقت ونجوت بجلدى .
 هبت الرياح فى صخب ومرح فارتفع الجسم العارى من جديد مستقيما
 كالرمح المثقف بين ستار الاوراق وهما وخيالا أحول يرى الامر امرين .
 وسمعت صوت أمى ينادينى ورأيتها تمد لى ثديا ناضجا ممتلئا لبنا .
 ولكن التجاعيد دبت اليه فجأة فصر ونحل ثم تراخى على صدرها .
 وملا آذانى صوتها العذب الحبيب يهددنى . وعبقت رائحة عطرها
 يقتحم أنفى فبكيت بكاء الاطفال المضيعين عند ملاجىء الايتام أو مجهولى
 الآباء .

وخلعت معطفى الانيق . والقيت به بعيدا ، فقد سئمت التيارات
 الهوائية الخفية التى تنهش أماكن معينة من جسدى .
 ونارت الرياح فانقشعت الاوراق وانكشف الجسم العارى نحيفا هزيلا ..
 اصبح اتهام تمتد نحوى طورا ونحو السماء أخرى .
 وسرنا معا أنا والجسم العارى .. خلف ستارة الاوراق وتحت وابل
 المطر التى استحال لون قطراتها شيئا فشيئا الى برتقالى فوردى ثم أحمر
 قان فى لون الدم عندها انفجر محرك سيارة فى منعرج الطريق ومات اثنان
 فى المقعد الامامى وقد حطم المقود صدر الرجل وانقرز فى ثدى حبيبته
 عندما داهمهما الضباب . ومات عصفوران أحدهما من الماس الصناعى فوق
 صدر المرأة والآخر فوق واجهة زجاج السيارة . لقد أضل كل منهم طريقه .
 وسرنا ثلاثة على الطريق لا تظللنا غير الاوراق . أنا والجسم العارى
 وعصفور مهاجر فازداد القمر اشراقا وكأنه فى تنافس شريف مع السحب
 المتلبدة والدجنة المتراكمة .

لقد كنا الليل والجسم العارى والعصفور وأنا مقطعا مجهولا من موال
 عربى حزين عتيق يتذكر الاحزان ويجتر الالم .
 وفى الشارع الفخم ذى الفوانيس العارمة النور الناصعة ارتفع وقع
 أحذية جنود غليظة تركل كل شىء : الليل والاجسام ، وتدوس الاوراق فى
 عنجهية . وانطلقت ثلاث رصاصات فنبئت أجسامنا على الطريق أزهار شوك
 وقتاد ... وحلقت الاوراق من نفسها حولنا ستارا شفافا داميا .

محسن بن ضياف

فيفرى سنة 1978

ابو بكر العيادي

عامل

أشعة متاججة ملتبهة تبعث في النفس العبرة والكلال تحتد الى أجساد هؤلاء العمال تشويها .. بعضهم كصراصير معلقة برخوف يقال يرصفون ، الخجارة والآجر ويطينونها بالملاط . وآخرون كالنمل دأبا وحزما ينقلون الرمل والحصى ويخلطونها بالاسمنت .. لا تسمع سوى :

- هات .

- هاك .

ولا ترى الا اثوابا خلقة التصقت بأجسام هزيلة واهنة .

كان سعيد وجهها من هذه الوجوه الكالحة المظلمة ، رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره ، وقصم كابوس العيال ظهره ، فأذوى زهرة عمره في اراقة ماء وجهه على ابواب الحظائر . يعرض شاعدين اقويا بالرفع والحمل منذ الصغر ، فلا يكاد يظفر الا بما يفتأ عن صفاره حميا المجاعة ..

» .. عضلاتك المفتولة وطولك الفارع كفيلة بضمان انتدابك واستمرارك في عملك .

فلماذا لا يدوم بقاؤك بالخطائر ومتاجر الجملة الا قليلا ؟

الآن لك عينين حادثين كعيني صقر ؟

أم لان انفك أفتس من اثر لكمة لا تذكرها ؟

أم لبقايا ذلك الجرح الرغيب الذي يلوح في رقبتك ؟ لقد كان دفاعا

عن قيم فقدت معناها هذه الايام .. »

كان شديد الاحتمال دائم الصمت ، يلم به الخطب او يحزبه الامر فلا تصدر من صدور زفرة وانما يظل يدير خواطر كثيبة قاتمة في نفس ثائرة مظلمة وقلب جامع مكظوم .

« .. تحمل على نفسك فى التعب حتى تحسرها وعيشك ما انفك
جديبا تصطك فى صبارة القر أسنانك .. تموت أطرافك .. يتجمد الدم فى
عروقك .. يوكر البرد فى عظامك .. يلهبك الجوع .. يفوص فرد فى الموائد
ولا تاكل وأمثالك سوى الحتامة .

يحرقك فى حمارة القيظ اللهب المستعر .. يسيل جسمك عرقا ..
تقطع انفاسك .. تفتر حركتك فتور من ألم به داء عياء .. تموت ظما .. يعب
فرد من كؤوس مترعة ولا تشرب وأمثالك الا حثالة ماء آسن .

تحرث الارض الجدباء وترويه وتتعهدا ، حتى اذا اينعت ودنت قطوفها
امتدت لها من ورائك يد تجنى الثمر دونك وترمى لك بالضريع .

تربص لفريستك ساعات يضيق فيها الصبر .. تقتفى الاثر فى الدروب
الوعرة .. تتحدى المخاطر وتتحين الفرص فاذا ظفرت بصيد غث أو سمين
انترعه منك صاحب البندقية .

اما آن للاكدار ان تنجلي ؟

اما آذن ليل المتاعب بالبلج ؟

حتام تظل تصارع الموج والافق سواب ؟

خير لك ان تنصو عنك ثوب الحياة وتفارقه كما حللت بها .. «

كان مكلفا بمد البناء بالآجر والملاط الذى يصله بواسطة الرافعة . وكان
كلما اعاد السطل فارغا الى العمال ارتد الى الورا خوف الدوار فقد كان
يحس انه يلقي ببصره فى احشاء هوة بعيدة القرار .

استحثه البناء فتقدم يرفع السطل بيدين ثقيلتين . وفجأة غشى عينيه
ضباب ولم تعد رجلاه تقويان على حمله . تراجع قليلا ليتخذ لنفسه متكأ ولكنه
لم يقدر لرجله قبل الخطو موضعها .

وشاهد العمال سعيدا يهوى من عل .

هب الناس على عواء فرامل تبعه دوى هول لارتطام سيارة . أتلعوا من
النوافذ الاعناق وسرعان ما تجمعوا حول مكان الحادث .

اشلاء لحم كانها الحنافس وطئتها اظلاف البقر متناثرة تحت عجلات
سيارة تنازعت البقاء مع جدار سميكة وعلى المقود رجل أصلع بدين لا حراك به

وبينما كان شرطى يفرق الجمع وينظم المرور اتجهت الانظار الى رجل
قمي خلق المظهر ، قد جلس القرفصاء تحت جدار ظليل يذرف الدمع كالثكلان
ومن حوله عملة الحظيرة المجاورة يواسونه ، وقد علا سحتهم الداكنة حزن
عميق .

« .. أنا قتلته !! أنا قتلته !! »

تعلو الجلبة ويحتمى الناس من القipzig بظلال المباني يرقبون تطور الاحداث
« .. قتلتك يا سعيد .. »

يربت أحدهم على كتفه فيغص بدمعه المنهمر .

★ ★ ★

اقبل العمال يهنئونه بالسلامة ويحمدون الله على نجاته وقد تهللت
وجوههم بشرا . ما كان أحد ليصدق أن ذلك السقوط لم يكلفه سوى رضوض
طفيفة . لقد أغمى عليه وا أفاق لم يصدق أنه على قيد الحياة بعد أن رأى
نفسه يهوى الى الارض كصخرة فارقت شعاف الجبل . وارتسمت ابتسامة
على ثغره الذى لم يعرف الابتسام فى هذا العالم الشقى البغيض . وأحس بأن
الحياة جديرة بأن تعاش مهما خلفت فى النفس من أتلام خطتها محنها ونكباتها .
وأدرك أن بارقة الامل لا تنقطع طالما بين الضلوع روح تنزع . وقرر أن
يحتفل بهذا التحول فى مجرى حياته فجاء رفاقه بمشروبات أتلفت صدورهم
وشفت غلتهم .

وبينما هم فى هرجهم ومرجهم اذ أقبل رجل قصير القامة عليه أسمال
تبين من تحت فتوقها عظامه .

— ما الامر يا جماعة ؟ أمات سيد ؟

— لا بل نحن نحتفل بعيد ميلاد سعيد .

— ماذا ؟ ومتى كان للفقراء أعياد ؟ ! الاجدر بنا ان نحتفى بتشجيع الواحد
منا الى الآخرة لتخلصه من متاعب الدنيا وهمومها .

ضحك الجميع وحكوا له ما جرى فأصر أن ينال نصيبه من المشروبات
التي نضبت .

– لقد كنت نائما خلف اكياس الاسمنت ولكن هذا لن يحرمنى من سهمى .

وبينما كان المشرف يدعوهم لاستئناف عملهم خشية قدوم العرف ،
توجه سعيد مزهوا الى دكان مواجه يبتاع زجاجة مشروب .

وما كاد العمال يدركون أماكنهم حتى سمعوا عواء فرامل ودويا هولا
لارتطام سيارة .

أبو بكر العيادى

طرابلس فى 3 - I - 79



ARCHIVE

قريبا يصدر عن شركة صفاء :

(1) طريق المعصرة مجموعة قصصية

(2) الشقة 78 رواية

(3) احمره الليل رواية

(4) مكتبة الطفل العربى : من قصص الامثال

علي العربي

هاجس الحلم والواقع في أقاصيص محمد العروسي المطوى

شخصية متعددة الجوانب لها مساهمة في شتى فروع الانتاج الادبي والفكري . فهو مؤرخ (I) ومحقق (2) وشاعر (3) وروائي (4) وقصاص . وهو من هذه الناحية يذكرنا بالعلماء القدامى الذين يبرعون في كل ميدان يتجهون اليه .

وسنهتم هنا بجانب من أدب المطوى لا نعتقد أن أحدا درسه أو التفت اليه وهو أقاصيصه القصيرة التي تفوق العشرة عدا . ولا بد من الإشارة في مفتح هذا البحث الى عناوين القصص ومكان نشرها وتاريخه .

العنوان المجلة التاريخ

I966	سبتمبر	قصص	I (طريق المعصرة
I967	أفريل	« «	2 (أم البط
I967	أكتوبر	« «	3 (التجربة الثانية
I968	جانفي	« «	4 (حديث الاجازة
(عدد خاص عن			5 (بي خفض
المجلة (مصرية)			القصة العربية
I971	جانفي	قصص	6 (الكرسي الشاغر
I971	أفريل	« «	7 (لحظة التيه - أ -
I972	أكتوبر	« «	8 (لحظة التيه - ب -
I976	جوان	الاقلام « عراقية	9 (المحررات
I978	أكتوبر	قصص	10 (أين ثوبى
		قصص	11 (أم الارض
I966	أفريل	« «	12 (الكون والفساد

وهذه القصص هي من النوع الذي يقال ليفهم على حد تعبير أبي تمام (5) اذ انها ليست من الادب الرمزي الخالص الذي يتحدى القارئ بغموضه وابهامه ، وليست من الادب الاجتماعي المحض . فقد تجاوز المطوى مرحلة

الوطنية والواقعية فى روايته حليلة والتوت المر التى نعتبرها مرحلة البعد الاجتماعى الصرف الى مرحلة البعد الرمزى أو أن شئت فقل مرحلة الحلم والواقع ذلك ان هذه القصص يتجاوزها هذا ان العنصران وان كانت الى الحلم اميل والى توظيف الرمز أقرب .

فاقرأ ما شئت من هذه القصص فسترى التزاوج بين الحلم والواقع فى تناسق عجيب وتالف حميم وان كان الحلم هو الغالب على هذه القصص الى درجة أنه أصبح هاجسا .

فبطل قصة أم البط يحلم : كنت أشعر بلذة التمرد على المطلق ، خيل الى اننى الفراشة التى استطالت على الشمس والكون فكنت السلك الرابط بين الافلاك ونظرت تحتى واذا الكل تقاهة . . . الهم عندي اننى أصبحت عزة وجبروتا . وجاءت كلمة من أحد الرفاق قاسية على فتسللت استخفاء

الى المغسل وعادت بى الذكريات الى مقطع السرة ، فترأت لى القرية البلهاء والحيطان المتهرثة وشرائط الفلفل ، والبقرة الهزيلة تجتر ولا لبن فهناك استغرق فى الحلم فى اول القصة ورجوع الى الواقع المريع فى آخرها .

وفى أم البط ترى البطل يجتر ذكرياته وبجانبه زوجته تساعده على عدم الصحو وذلك بتقديم الحمرة له ، فهو فى غيبوبة دائمة قصد الهروب من واقعه ماضيه خاصة . هذا الماضى المزدوج الذى يتمثل فى قرية البلهاء والحيطان المتهرثة من جهة وأروبا وبحيرة ليما بسويسرا من جهة أخرى .

ويبدو هنا ان الكاتب يبحث عن لحظة الخلق : (إننى سأخلق . . سأخلق فعلا كنت مشطورا بحق . . بدأت أشعر بمركب لم أقو على احتماله . . هل أخادع نفسى إذا صرحت باننى ضحية ؟ لماذا لا استبدل هذا الشعور العاقر باحساس مخصاب) ذلك أنه شعر بالرتابة ، فأراد أن يتجاوزها الى الخلق حتى لا يشعر بالجذب والجفاف . وغنى عن البيان أن الخلق هو حلم البطل والرتابة والبرودة هى واقعه . ويتضح هذا المفهوم فى قصته (حديث الاجازة) فالحلم هو الاجازة و (الاجازة مفهومة أن يغيب الانسان عن عالمه مدة ثم يعود .. والعود شرط فى الاجازة) فكل من المرأة والرجل تطوح بهما الذكريات والمغامرات ليسرحا بعيدا عن واقعهما ويعيشا فى المطلق . أما العودة فهى إجازة سلب . وبالتالي فهى ظرفية لا تغنى من جوع . على أن

هذه الاجازة فى آخر الامر هى (كفران بالتربة والاوزاع) وهكذا نلاحظ فكرة التجاوز أو على حد تعبير الكاتب العبور الى الشاطئ الآخر باعتبار أن عصارة القلب لم تسعها الكأس الحاضرة فهو هروب من الان الى المستقبل أو من القفص الى القضاء الذى لا يحد .

ويتأكد أكثر مفهوم التجاوز أو القفز الى المستقبل فى (التجربة الثانية) فبقطع النظر عن عرضها لمشاكل اجتماعية وفضح أساليب العمل فى بعض الشركات فان بطل القصة يريد أن يتجاوز واقعه أو حاضره الى شئ مجهول وهو **يتمثل فى هذه الفتاة التى ابت أن تكون عشيقة لسيادة المدير وفضلت الشرف على المكتب الفاخر ورزمة الدنانير رغم احتياجها الشديد للقمّة العيش .**

ونلاحظ أن الجزء الاول من (التجربة الثانية) يقوم على عنصر الحلم الذى يتمثل فى قراءة الفتاة الباحثة عن عمل شريف لمذكرات السيد المدير التى يتحدث فيها عن مغامراته مع النساء فى أحد المقاهى .

أما الجزء الثانى من القصة فهو يبرز الجانب الواقعى لدى الفتاة التى أثرت الطهارة على الدعارة وغلبت الركن النير على الحجرة الفخمة المظلمة .

وقد أبرز الكاتب صراع الفتاة مع نفسها هل ترضى بالفقر والبؤس أو تقبل الثروة وتدنس الشرف : (ودون أن تشعر مدت يدها تصافحه مودعة ، وتعتذر عما أخذته من وقته الثمين . وضغط كفها فأحست بألم ولذة ، لكنها سحبت يدها ، افتكتها منه ،) وفى افتكاك اليد إشارة الى الدفاع عن شرفها .

فالمدير إذا يرنو الى تحقيق حلم عجز عن الظفر به . فهو غير راض بحاضره وانما يريد تجديد ذلك الحاضر ، وفى ذلك إبراز لمعنى الحياة الذى لا يلد إلا بالسفر الى المجهول والسباحة فى المستقبل . اما الحاضر فلا ترضى به النفوس الكبيرة .

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مردأها الاجسام

وهكذا يجند أبطال المطوى فى قصصه القصيرة التيه والضياح ويحبذون ان لو كان لهم جناح يطفرون به الى نبع الحقيقة ليعرفوا سر وجودهم وكيونتهم .

(عد الى ماض عريض الى دهر أطول من الدهر ستعرف اذ ذاك
 أننى لم أكن سوى لحظة تيه ، لم أدر أتاها ، ولا أعرف منتهاها)
 (لحظة التيه ب) وبطل هذه القصة ممزق بين واقعه من ناحية وماضيه من
 ناحية أخرى وهو تائه ، فهو مرة فى باب السويقة وأخرى فى نهج زرقون
 وشارع الحرية وهو كذلك فى شوارع تونس العاصمة أو فى شوارع القاهرة
 من يدري ؟ فقد اختلط لدى البطل الماضى والحاضر والمستقبل ، فلا يدري اين هو
 من حيث الزمان والمكان (حاول ، أن تفهمه هل هى سبع سنوات ، هل هى
 لحظة يوم شهر دهر انه الظرف الذى لا يعرف بداية لا يعرف نهاية ، لا يحد
 طول أو عرض لا يحويه عمق ، لا يجوزه امتداد ، هل هو مستمر متواصل
 لاحدود له)

ويتضح مفهوم الضياع فى (لحظة التيه) فالبطل فى المطعم يلتقى على
 نفسه أسئلة كما لو كان فى حلم فبعد أن يطلب من النادل منكوسة مشوية
 يتساءل :

من الذى غاب عن الآخر أنت أم النادل الشك منك والعهد عليك ؟ أنا
 المسؤول .. مسؤول عن كل لحظة .. دقيقة .. ساعة .. يوم .. شهر
 سنة وهو يشعر بوطأة الزمن المتحرك ، وهو الثابت الجامد الذى يهذى بأفكار
 وآراء مع نفسه . وقد أجاد الكاتب تصوير تداعى الخواطر بالنسبة لبطله . وهو
 تصوير واقعى لما يشعر به الانسان فى لحظات تيهه وأحلام يقظته .

ويهمم البطل فى حلمه الذى لا يتجاوز طرفه عين :

(انت لحظة ، طرفه عين أنت الزمن الذى لم يوجد لانك كنته بلا انفصال بلا
 تقسيم ، بلا حساب ، يا علماء الفلك والهيئة والفضاء ، واللامحدود قفوا ،
 انتم واقفون جامدون ، قفوا فى الحركة فى الحساب ، فى التقدير إنها لا شئ
 انها جامدة ، جامدة أيضا ، هى معدوم) وهكذا الانسان لا يستطيع أن يفلت
 من الزمن ومن ماضيه وعاداته وسلوكه ، فيقضى عمره سجين تلك المكونات
 التى ساهمت فى بناء ذاته والانسان فى الآخر الامر هو رهين الماضى والتربة
 التى ترعرع فيها .

(انك مازلت تذكر شاطيء « عين الرمال » تذكركم ترحلقت على تلك
 الكشبان كانت حباتها جبلا عملاقا ، وكان عدها فى متناول خيالك الارحب
 وتعددت بجانب العين تزداد عطشا وتنشد اواما) (لحظة التيه أ) .

وفى (بى خفض يطرح الكاتب قضية التنكر للقرية واللغة والام، فبعد أن ارتوى الطفل من لبن أمه دفعته الى معلم القرية الذى علمه لغة أبائه واجداده ولكن لسانه أصبح غربة وكلامه أصبح رطانة ، ولم يعد من أهل الدشرة وأنكر القرية والناس والاهل والعشيرة رغم أن الوشام يعلو جبينه ، رغم أنه حاول فى الحى الجامعى ازالته فلم يقدر .

وأصبح هذا الشاب الجامعى - وما أكثرهم فى مجتمعنا - يشمئز من العودة الى قريته وبستنكف من تحية ابناء عشيرته وان تحدث رطن فى كلامه فيصبح مسخا وتشويها ، وهاهو معمله ينكره كما أنكره الآخرون .

(مرحبا يا ابنى . . سعدت بك القرية لكننى ، لم أربك لهذا ، أسفى على عرق عقيم وجهد ضائع) ويعود خائبا وهو يقول : (انه - اذن - لم يفلح انه النشاز تعست تربية لا تغير المألوف ، ولا تدفع السى جديد ولو الى البثر ولا تخلق أصالة ولو من فراغ .)

فكل شىء يحافظ على كيانه فى الدشرة ، حتى الصخرة العجوز ماتزال كما هى : (هيبه انها ما تزال كما هى ، موت مستمر ، صمود متواصل كم جلست عليك لا عيد با يأتى الا ولى لكننى تغيرت أصبحت شيئا آخر ، أنت ايضا لا تفهمين رطانتى تماما مثل أبى وأمى ومعلمى الاول ، هذا لا يمكن لا يطاق ، لا بد من عمل اذن حتى تزول الغربة ، الغربة ، غربة من ؟)

وهذا هو التنكر فى أدق معانيه ، التنكر للغة واللغة أساس جوهر الانسان . فالطالب فى حلسم ولا شك ، ولكنه من الاضغاث التى تشوه الانسان فى أعز ما يملك ، وهو لسانه فيصبح غريبا أو هو بالانبتات الصق وبالعقوق أولى

أما (طريقة المعصرة) فقد سماها صاحبها حوارية ، وهى تدور بين رجل وامرأة وهما فى سيارة تنقصها الاضواء ، والرؤية فى الطريق غير واضحة ، فيستعين السائق بالبدر الى أن يوقف الشرطى السيارة بسبب فقدان الاضواء بها وفى هذا الحوار يتجلى الميل الى الرمز والتعمية .

هى : دائما بالفازك

هو : قاله غموضك

والحوارية تتناول قضية الوجود ، والعبث ، وجود الانسان فى الحياة ، وفقدان الرؤية أمامه ، فهو لا يدري أين يسير وما سبب وجوده فى الحياة :

هى : اننى شقية

هو : كل شئ الا التشاؤم

هى : ألم يكن وجودى عبثا

هو : كل الوجود اذا شئت

وهكذا فنحن داخل الركع نجيد التمثيل تماما كالأخرين ، ونجيد عن الطريق ولنا مقاييس خاصة قد تكون زائفة .

ولكن أين الحقيقة ؟ وكيف لنا أن نجيد الرؤية وسط الظلمة .

ومهما أراد الانسان الخروج عن الجماعة فهو دائما منهم ، فان رام الوحدة فهو وسط الزحمة ، والانسان فى آخر الامر شقى ، وهو يحيا من أجل شقائه .

أخيرا أليست المعصرة هى الحياة بما فيها من عبث وحرمان وغربة كما أن الانسان يعصر عصرا من حيث لا يدري ، وكأنه فى حلم يعلق بين السماء والارض :

هى : جناحى مقصوص

هو : لكنك فى الفضاء

هى : أنت خلقت بى فطرت معك

هو : وهما صحيح

هى : لا تسرع

هو : نحن على الارض

هى : لو كنا عليها لرفسنا الهرة

فالسير ليلا هو لون من ألوان الحلم ، لكن الواقع « شرطى المرور » يوقف مواصلة الحلم .

وفى (المحراث) يجتر الاب ماضيا أغبر فيه تأنيب للابن الذى تنقصه المهارة فى حراثة الارض . « وقلت لك اعرف كيف تمسك المحراث وراء الثور ، فاذا أنت تتدرج فى التراب المنبوش مثلك مثل نبات النجم تجتثه سكة المحراث ، السبب بسيط لقد كنت لا تنظر أمامك شغلك غراب طار من شجرة عندما ندهت الثور . وهل نسيت كيف ضحك منك وعليك الحراث جارك لقد كان اشد نحافة منك ولكنه كان وراء المحراث شيئا آخر كان حركة ونشاط وكنت كسولا وخمولا ! » .

وعلى هذا المنوال يتواصل الحوار بين الاب وابنه ، وهو حوار غير متكافى فى البداية واذ يغلب عليه الامر والنهى والتقرير . ثم يهدر الاب هديره الصاخب شيئا فشيئا فيظهر الاطمئنان فى نفس الولد . ويستطيع أن يسأل أباه لهجة هادئة . وبقطع النظر عن الغموض فى أهداف هذه القصة ومراميها فان الاب يحلم مع ابنه ويتذكر أن زمنا مضى وانقضى فيه تعليم الابن الحراثة وخيانة الام لهذا الاب ونصيحة الوالد لابنه : « خذها نصيحة من مجرب دهر الدهارير . خذها حكمة شيخ لم تن قناته بعد أن صلب عوده واشتد حيزومه » .

على ان الذى يهمنا فى هذه القصة هو جانب الحلم فيها ، فالاب يعيش فى الماضى تربية وسلوكا وحياة ، أما الحاضر ، فهو محجوب بذلك الماضى . وما أكثر الناس الذين لا يتجاوزون ماضيهم الذى أصبح سجنا بالنسبة اليهم . ولا نريد ان نلم بجميع القصص ، وان كنا أتينا على معظمها ، ولكننا نود ان نشير الى أن « الكرسى الشاغر » وان كان موضوعها وطنيا اجتماعيا فانها تعبر عن تواصل الحاضر وامتزاجه بالماضى والمستقبل بدون فصل بين الازمنة المختلفة ، وفعلا فان هذا التقسيم اعتباطى فى آخر الامر ، اذ لا يمكن ان تجزىء تيار الزمن الى وحدات متفصلة متباينة ف « لا يوجد سوى استمرار يتتابع » كما يرى يرغسون . ذلك انه « من السهل علينا ان ندرك ان الزمن هو نسيج الحياة السيكلوجية الاثبت ، لان ديمومتنا ليست لحظة تخلف لحظة والا لما كان سوى حاضرا . ولما اتصل ماضينا بالحاضر ولما تطورنا ، ولما كان لنا ديمومة حقيقية ، ان الديمومة من استمرار تقدم الماضى فى المستقبل وتضخمه منه مع الاحتفاظ بذاته » (6) كما يقول يرغسون أيضا .

اما الحلم فهو البداية الطبيعية لكل انجاز وعمل فعلى ، فالقيام بأى عمل واقعى يسبقه تصور أو حلم . وفى هذا الصدد يوصى علماء النفس بأن يخصص الانسان بعض الوقت للحلم الخلاق . وأحسن مثال لذلك هو حلم الاطفال ، فالحلم عندهم وسيلة للاندماج فى المجتمع وكذلك الكاتب يقول فرويد : « ان ما يفعله الطفل اثناء اللعب ، يخلق عالما خياليا لا وجود له فى الواقع ثم يؤمن به ، وليست أحلام اليقظة الا استمرارا للعب الطفولة ، فالرغبات المكبوتة هى القوة الدافعة الخالقة لهذه الخيالات ، وكل خيال منها يحقق رغبة لم تحقق فى الواقع . ويواصل فرويد : « عندما يعبر أديب موهوب عما قد تظنه أحلامه اليومية نشعر بسعادة عظيمة تنبع من مصادر عدة أما كيف يستطيع الكاتب أن يفعل هذا ، فسر من أسرارهِ الخفية العميقة . وكلنا نستطيع أن نقدر بأن الكاتب يبعث فى نفوسنا المتعة والبهجة عن طريقين : أولهما أن الكاتب يلطف من شخصية « الانا » البادية فى أحلام اليقظة وذلك بما يدخل عليها من تحويرات واقنعة ثم يعرض هذه الاحلام علينا عرضا يبعث فينا لذة جمالية ، والطريقة الثانية هى ان الكاتب يضعنا فى ظرف نستطيع فيه ان نتمتع بأحلامنا دون أن نشعر بالتقريع او بالحجل » (7) .

وبعد أليس الحلم أسلوبا من أساليب الفن القصصى ؟ .

على العربى

-
- (1) الحروب الصليبية فى الشرق والغرب ط تونس 1954 .
 - (2) فرحة شعب ط 1963 ط 2 1974 .
 - (3) خريدة القصر وجريدة العصر للعالم ، الاصفهانى بالاشتراك مع آخرين
 - (4) ومن الضحايا والتوت المر وحليمة بالاضافة الى مشاركته فى أدب الاطفال
 - (5) سئل أبو تمام لماذا تقول ما لا يفهم فقال ولماذا لا تفهم ما يقال
 - (6) برغسون حياته فلسفته اندريه كريسون ترجمة نبیه ضفر ص 91 - 92
 - (7) الدكتور محمود السمره مقالات فى النقد الادبى ص : 89 - 90

الأرواح في حفل تنكرى

تأليف : بيير لافر كفيست
عربها مباشرة عن السويدية
المنجى الردادى (*)

مكث هناك جالسا ينتظر يقظتها . نظر فى وجهها النحيل الشاحب الذى كان مادئا كل الهدوء فى سباتها . ذلك الوجه الصغير الحبيب بملامحه التى يعرفها كل المعرفة ... مر وقت طويل ، طويل ، وهو جالس لا يشغله عن النظر اليها شاغل ...

وأخيرا لاحظ ارتجافة حول فيها الذى تلوى من الألم ... فتحت فمها . بدت حائرة ... كأنها لم تفهم ... ماذا حدث لها ؟
لعلها بدأت تذكر ... تذكرت ... وحلت محل الألم ابتسامة صفراء ، شاحبة ... لكنها سميكة ... تحسست باخنة عن يده ...
استوت قليلا فى جلستها . ثم نظرت حولها فى الغرفة . وسالت :
« أين هو ؟ أين هو ؟ هلقدان ؟ ... » تأمل فيها . « هلقدان ... ألم يكن ؟ ...
ليس هنا ! ... هلقدان ! » مسح على رأسها ... ثم قال : « لقد أجبروا ...
يجب عليهم أن يفكروا فيك ... حبيبتي ... »

– « فى أنا ؟ ... » حدقت الى وجهه « فى أنا ؟ أنا ! ... »
– من المفروض أن لا ... أن لا تتحركى ... يجب أن تستلقى فى هدوء .
– أين هو ؟
– لقد تأرجحت بين الحياة والموت يا حبيبتي أرنا ... انك لا تدريين ...
بين الحياة والموت ...

– أين صغيرى !
حاول الضغط على بدنها كى تستلقى على الفراش . لكنها انتصبت بذراعيها ومكثت جالسة . كان لديها الجهد الكافى . قال لها : « كان عليهم أن

(*) انظر الاعداد (35 - 38 - 47) من مجلة « قصص » .

ينقدوك ... يا عزيزتى ... ، فحدقت اليه . وبدت عيناها ككوتين واسعتين .
صاحت :

– ماذا فعلتم بصغيري ؟

– أرنا ... عزيزتى أرنا ... لا يجدر بك ...

– أين هو ! – – أريد أن أراه ! !

لاطفها وهو يهز رأسه أسي

– أريد أن أرى طفلى

– لا ، لا . . . أنت تعلمين ... ليس ذلك ممكنا ... انه مستحيل ...

– ماذا فعلتم بطفلى ! ماذا فعلتم !

– أرنا ... أنت تعلمين ... لقد كان لازما ... كان عليهم أن ينقدوك ...
حببتى ...

– لم أنقذ ! – – ماذا فعلتم بصغيري ! ماذا فعلتم بصغيري !

كانت تصيح وترمى بنفسها على السرير بعنف مع عويل شبيه بصراخ
الحيوان ... أجبر على امساكها ودغوة الممرضة .
<http://ArchieveSakhi.com>

مرت الاعوام . وكانا يعيشان فى انعزال أكثر من ذى قبل ، يكاد
يكون انعزالا كلياً . لم ترغب فى مخالطة أى أحد . وندر أن ترغب فى مقابلة
أى انسان . لم يكن أى منهما فى الحقيقة بحاجة ماسة لذلك . على الاقل لم
يكونا بحاجة لحياة اجتماعية أو لحياة خارج منزلهما . ولم يكن هو الآخر يرغب
فى ذلك النوع من الحياة ، ولم يفتقده . لزما منزلهما وقبل ذلك النمط من
العيش على أنه أقرب الى نفسيهما وأنسب من عداه .

لم يسافرا الى الخارج مرة أخرى ، ولم تكن لهما رغبة فى ذلك ... لم
يكونا فى الحقيقة ليرتاحا فى أى مكان آخر آنذاك ... بلدهما أحسن لهما ،
خصوصاً أن أرنا كانت تريد زيارة القبر ، وقد فهم هلقدان انها لو خيرت
فسوف لا تروم الابتعاد عن ذلك القبر .

عاشت بذكرى صغيرها .. امتلات كل حياتها بذكراه ، فكان من السهل على هلفدان أن يلاحظ ذلك رغم أنه لم يكن ليتناول الموضوع معها الا لماسا . لم تستطع الابتعاد عنه . فكل الاشياء التي احضرتها له مازالت مخبأة . لم يكن هلفدان يعلم أين تخفيها ، لكنها ما زالت هناك . وذات مساء رجع الى الدار فى وقت مختلف عما تعودته منه فوجدها واطعة الاشياء أمامها على المنضدة . وبعد ذلك بوقت طويل ، عاد ذات ليلة الى الدار مبكرا لان المسرحية التى كان سيشاهدها قد أبطلت فوجدها فى نفس الحالة . لم يتحدثا عن الموضوع هذه المرة بل دخلا وتناولوا الشاي الذى رآه فى الغرفة المحاذية معدا لها رغم أنها كانت قد نسيت . وبعد ذلك عزفت له مقطوعاتهما المحبوبة التى كانت تعزفها بطريقتها الخاصة والمألوفة فى لطف كلما طلب منها ذلك ، فهو لا يعرف أحدا يستطيع عزفها بتلك الطريقة .

حتى السرير الصغير مازالت محتفظة به فى غرفة فوق السطح ومعه كل ما يلزمه من فراش . كان يعتقد أن وجوده هو الذى حال دون جلبها للسرير الى غرفتها . ولعله كان محقا فى ذلك ، اذ لولاه لوضعت السرير فى مكان ما فى الغرفة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لقد عاشت فى الحقيقة باحلامها عن المولود الذى بعث الى هذا العالم ميتا . وتصورت كيف كان وما كان سيكون ، كيف كان هذا الكائن سينصرف بعقله الصغير وما عساه أن يصير . وماذا كان سيعترضه فى حياته . ألم يكن بشرا مثلنا كلنا ، وفيه من الانسانية ما فينا ؟ لقد كان حياة كاملة ، الا انها لم يحياها احد . وجدت تلك الحياة لكنها لم يتيسر لها أن تصبح ما كانت ستؤول اليه ، وأرنا تعيشها الآن عوضا عن صاحبها .

زارت قبره باستمرار ، وكانت فى الحقيقة تزوره أكثر مما يخطر بالبال ، اذ كانت تعرج عليه أحيانا عندما تغادر منزلها لقضاء حاجة وتعود اليه متأخرة بعض الشيء ... رعت ذلك المرتفع الصغير ، واهتمت بالورود لتبقى دائما ناضرة . وجالست هناك على المقعد غائصة فى افكارها . وكانت تزور أحيانا قبر أمها أيضا . لكنها لم تفعل ذلك باستمرار اذ لم يكن قبر أمها وقبر جنيها فى مقبرة واحدة .

لا بد أنها شعرت بأن عليها واجبات تجاه هذه الحياة التى لم تكتمل .
لكنها اعتقدت الى جانب ذلك أن الجنين وجد . لم يكن يخامرها شك فى ذلك ،
اذ لو اختلف الامر لما كانت تشعر مثلما شعرت وتحيا بنفس الشعور .

وذات مرة سألت هلقدان :

- ما رأيك فى وجود حياة أخرى بعد الموت ؟
- لا نعرف عن ذلك الا النزر القليل يا أرنا .
- نعم ، لكن لعله من أجلنا لم نعلم الا الشئ القليل .
- ربما ... لكن ماذا تعنين ؟
- بلى ، لعله كذلك .

انه لم يشعر بنفس الفراغ الذى شعرت به لحرمانها من الاطفال فى
البداية فقط شعر به ، ولكنه سرعان ما اقتنع انه لا حاجة لثالث ما دامت
هى له وهو لها .

لقد استمر حبهما . لعله لا يشبه ما كان عليه من قبل ، لعله تغير ،
لكنه مازال هناك لهما وفى نفسيهما . بيد وأنه لم يعد له نفس المعنى عندها ،
ويرى أنه لم تعد له نفس القيمة . لكن من السهل ملاحظة استمرار وجوده
عندها . فكثيرا ما كانت تقول عندما يتكلمان عن حبهما : انها ترى أن شعور
كليهما نحو الآخر قد تعمق . كانا قد تحابا بطريقة أخرى من ذى قبل ،
بطريقة سطحية أو كيف سيسميها الانسان . كانا قد أخذنا أكثر من اللزوم
بما هو حسيى خالص فى الحب ، بما ليس الحب نفسه ، وبما لا يمكن أن
تكون له نفس القيمة التى ظننا ، بما لا يعطى أعظم معنى لحياة اثنين معا .

بدت وكأنها ابتعدت قليلا عن هذا الجانب فى حبهما لبعضهما . هذا
الجانب الذى اعتقد هو أنه جمع بينهما بطريقة جميلة جدا ، وأنه منحهما
سعادة كبرى . وشعرت بأنها مظلومة الى حد أنها لا يمكن تسليم نفسها له
كليا . وكلما اقترب منها أبعدته عنها بلامح تنبو عن تعب وعذاب . وكانت
وكانها أرادت أن تقول انها ليست ذات أهمية للاقتراب منها .

بدت وكأنها خالية من الرغبة ، كأنها لم تعد لها حاجة ملحة به . عاشت
فى انطواء على نفسها .

فكرت أحيانا فى طفلها ... من كان شيشبهه ؟ وكيف كان مظهره سيكون ؟ لم يخطر لها قط على بال أنه كان شيشبهها هى أو يأخذها بعض صفاتها . كان شيشبهه هو اذ لا شك أنه مولود ذكر . كان سيرث من أبيه عينيه وفمه . ولعله كان سيرث أيضا طريقتة فى تفانيه واخلاصه . لعله كان شيشبهه كذلك فى بعض الجوانب الاخرى ، جوانب روحية ذات معنى أعمق . لكن صغيرها لم يتسن له أن يعيش ، وهى لم تكن قادرة على بعث ابن من أحبت للوجود .

ليته وجد ولو للحظة قصيرة اذن لراته ولو لمرة واحدة واحتفظت بذكرى منه .. ليتها استطاعت أن تلد كائنا حيا . لكن الكائن الذى ولدته كان ميتا . وكان مجبرا على أن يموت .. كان يرغب فى الحياة لكنه أجبر على مفارقتها . بدا لها وكان جنينها قد أخذت منه حياته قسرا ، وأنه سنب كل شىء من أجلها ... كان عليه أن يموت فى الحال من أجل أمه ، من أجلها هى ، هى التى كانت قد عاشت والتى لم تبق هناك فى الحقيقة أى حاجة لاستمرار وجودها .

لقد سلب جنينها حياته فقط لانقاذها هى ، فكان على جنينها أن يهب نفسه ضحية . وهذا جعلها تشعر بالتزامات خاصة تجاهه .. شعور خفى بالذنب لا يمكن أبدا أن ينمحي .

لقد حاولت مااستطاعت أن تكفر عن ذنبها على الاقل بالتفكير دوما فى جنينها ، وكذلك بمحاولة السمو بنفسها حتى تصبح ذات قيمة أكبر ، وأقرب الى عالم الارواح ، العالم الذى يقع بعيدا عما نحن به ملتهون . حاولت أن تعيش فى العالم الذى كانت تعرف أن ابنها موجود فيه . لم يعد لمجرد الحسيات معنى كبير لديها . ولم تعد الحسيات لتجذبها .

لم تكن لتلهيها عن سواها ، اذ لم يعد هذا الجانب من الحياة ليزيدها فى حقيقة الامر غير الصدود . شعرت وكأنه منقوص ، وأحيانا دفىء يجذب صاحبه الى الاسفل . ولم يكن - منذ البداية - ذا معنى كبير بالنسبة لها . كانت قد تغلبت على هذا الجانب فى نفسها .

لقد حققت ذلك شيئا فشيئا اد أخذ الجانب الحسى للاشياء يضمحل وتضمحل قيمته عندها قليلا قليلا لادراكها المتزايد لما كان زوجها عليه .

ولعلها (نقص) - أيضا - قد أصبحت أكثر نضجا اذا امكن ان نسمى ذلك الشعور نضجا . لم يصل شعورها هذا الى حد اللامبالاة فهي تتشوق لا محالة الى شيء... شيء لا تعرف كنهه ... شيء آخر . شيء يمكن له أن يرضى أعماق المشاعر فينا وأكثرها خفاء ، أن يمنحنا شيئا آخر جديدا يبرعم في نفوسنا . لكن يجب أن يتحقق بطريقة أخرى ، وأن يأتي من مكان آخر .

كان هذا الشيء الجديد هو ما يستطيع الجبين أن يمنحها إياه . لو تسنى لها أن تصبح أما ، وأن تجذب صغيرها الى قلبها ، أن تدينه من ثديها . لو تسنى لها أن تعانق كائنا صغيرا كان لها ، كله لها ، لامكنها أن تصبح أعجوبة عظيمة جديدة ، ولامكن لصغيرها أن يجعل منها انسانا أسمى ، أن يرفعها من حباتها الماضية الى حياة أخرى أعلى .

بدأ الآن وكان الطفل هو الآخر أراد التدخل في حياتها . كان هذا الكائن الصغير الذي لم تفعل غير الاساءة اليه ، لا شيء غير أذاه ، أراد بها رغم ذلك خيرا . ناداها رغم ذلك وتركها تفهم أنه موجود ، وأنه يمكن لها أن تصله بعطفها ، وبكل أفكارها . كأنه أراد - رغم ذلك - أن يشعرها بسعادة الامومة . أجل ، سعادة ما وراثية ، سكينه الروح ، سعادة الامومة التي لا توصف ، اذا استطاعت فقط أن تسمو بنفسها الى العالم العلوى . كان الصغير وكأنه أراد أن يبعد حواسها وعقلها عن العالم السفلى ، كأنه يحاول افهامها أننا في الحقيقة ننتمي الى العالم الآخر .

بدأ الجنين وكأنه أراد منحها شيئا لا بد أنها افتقدته ، وكأنه رغم كل شيء يريد منحها إياه ، في العالم الآخر .

ليتها استطاعت أن تأخذ ما كان الجنين يريد منحها بكل بساطة . شعرت أنها غير مكتملة ، وأنها ليست أهلا لذلك . لكنها تغيرت هي الأخرى ، وهي قد لا حظت ذلك . فقد أصبحت أشد ميلا الى أشياء أسمى وأكثر أهمية مما كانت عليه من قبل . وقد تحققت الآن أن هناك عالما آخر ، عالما يختلف عن هذا الذي نعيش فيه ، عالما يمكن لنا فعلا أن نلتقى فيه . هناك تستطيع أن تلقى صغيرها وأن تجتمع به . وهناك يمكن لها ولهقدان أيضا أن يلتقيا وقد أضحيا أكثر اكتمالا .

كانت عندما يعذبها بالحاحه فى مضاجعتها ، بمداعبه لها ، تؤنبه بانه لا يقيم وزنا لروحها ، لنفسها . وكان يجيب بانه لا شك يفعل ذلك ، وكان صادقا ، الى حد . لكنه لا يفعل ذلك بالطريقة التى كانت هى تتوق فى أعماقها ، تتوق الى أن يتوحدا ، مثلما استطاعا تحقيقه من قبل .

وحدث بينهما أشياء لا يمكن حصرها ، اذ كانت لهما مصالح وعواطف مشتركة . وكانت كل ميولهما الروحية متشابهة الى حد كبير . لقد عاشا معا سعيدين بكل شئ ، وكانا كلا لا يتجزأ . لقد أضفى (هلفدان) على حياتهما بطيبته وتفهمه دفئا روحيا خالصا . فهى لم تكن أبدا أهلا لهذه الطيبة التى لا تنفد ، وهى التى لم تحقق الكثير ولم تكن ذات أهمية . وهى التى انفصلت عنه لانها لم تستطع انجاب ولده . شعرت فى أعماقها بانها لم تكن أهلا له لكنها الآن على الاقل أقرب اليه من ذى قبل .

أصبح منظويا على نفسه أكثر فاكثرا ، وبدأ فى غالب الاحيان مبتثسا . لكن لم يبق لهما شئ ميسر من وقع ما وقع ، لا شئ هناك يبعث على الامل . كانت حياتهما قد انتهت رغم أنهما لم تصبرا أبدا ما حلما ذات مرة أنها ستكون حتى المنزل شعرا به خاليا والضيف الصغير الذى انتظراه لم يأت ولن يأتى قط . بعد ذلك لم يظل أى شئ مثلما كان ، لقد شعر كلاهما بذلك بصورة ملحوظة .

كانت كثيرا ما ترجو (هلفدان) أن يخرج أكثر مما كان يفعل . وقد شعرت أنه يمكنه ذلك اذا حصلت له الرغبة ، اذ ان خروجه الى المسرح أو الحفلات الموسيقية يسرى عنه . وقد بدا هو الآخر يغادر المنزل أكثر من ذى قبل فى السنين الاخيرة . كان يذهب الى المسرح باستمرار ، ويحضر خصوصا الحفلات الموسيقية . وقد استطاع أن يرغبها أحيانا فى مرافقته اذا كانت للحفلة أهمية كبرى . أما فيما عدا ذلك فلم تذهب معه أبدا ، ولم يحدث أبدا أن رافقته الى المطعم أو أى مكان آخر كان عليه أن يذهب مع أحد آخر من معارفه أو فى الغلب وحيدا .

لم يكن ارتيادها مثل هذه الاماكن ليسعدها . ولم تسعد قط فى مكان كثر فيه الناس . لعل السبب فى ذلك هو خجلها لانها تعرج قليلا ولانها ظنت ذلك ملحوظا .

لقد وجد فى الحقيقة بعض التسلية فى هذه الاوقات القليلة التى كان يقضيها خارج المنزل رغم أن المنزل كان المكان الوحيد الذى يحتاجه فعلا وحيث يؤثر البقاء . لكن بقاءه فى المنزل أيضا لم يسعدها .

لم يعد فى الحقيقة يفهمها . لقد كانت مغايرة جدا لما عرفه عنها ، بل أمست كذلك . لم يعد أى شىء فيها مثلما كان .

طبعاً أحست بانها غالت فى شعورها نحو صغيرها ، ومع ذلك رثى لحالها وقد حز موت صغيرها فى نفسه وحزنت له حزناً بالغاً . لكن ما كان لحالها وقد حز موت صغيرها فى نفسه وحزنت له حزناً بالغاً . لكن ما كان يقارب الفصل بينهما وأن يعتمد كل شىء بهذه الطريقة .

لم يكن لموت صغيرها أن يعنى كل شىء بالنسبة لهما . فمازال لديهما الكثير مما يسعدهما ومما يجدر بهما أن يعيشا من أجله اذا أراد المحافظة عليه . هو لها وهى له ، وحبهما وعواطفهما لبعضهما البعض مازالت موجودة .

لقد تغير هو الآخر بالطبع ، فلم يعد حبه الجسدى لها مثلما كان . لم يعد يحس كثيراً كما تعود من قبل . لكنها كانت المرأة التى أحبها والتى اختار - مع ذلك - أن يحيا معها . لم يتغير شىء من هذه الناحية .

عندما ألحت فى تأنيبها له بأنه لم يحب ولم يعر روحها أى اهتمام لم يستطع السكوت وأجابها أخيراً بأن ذلك فى الحقيقة ما كان دائماً يفعله . وتلك حقيقة ظاهرة اذ بدونها ما كان ليحصل شىء بينهما أبداً .

لم يفهم كيف تستطيع أن تأتى بمثل هذه الاقاويل التى لا أساس للصحة فيها . فهى فى ذلك غير منصفة .

لقد أحبها كلياً بأشد ما يمكن لاحد أن يفعل . وصل فى حبه لها حد العبادة . وعاش حياته كل هذه السنين لا لشيء الا لها وحدها ، لهذه المرأة التى كانت له كل شىء . لقد شغف بها حتى أنه لم يخطر له فى الحقيقة على بال كل هذا الوقت أن المرأة التى كان يحبها عرجاء . لم يعر ذلك أدنى اهتمام ، حتى أنه أوشك أن لا يعرف أنها عرجاء . هكذا كانت فى حقيقة

الامر المشاعر التى عملها تجاهها . ان جوهرها هو الذى احبه . أحب ماهيتها أولا وبالذات قبل أن يحب جسدها . وهناك يكمن سر شغفه بها ، وقد كان يعرف ذلك .

لم يستطع أن يفهم لم كان لها هذا الشئ الغريب الذى حمله على التقرب اليها ، امتصه اليها ، ولا حقيقة لهذا الشئ . وهى ما زالت محافظة عليه باستمرار .

لقد انساه ذلك الشئ عيبا حتى أنه كاد يثق بأن عرجها لاءمها وأنه جزء منها ، جزء من شخصيتها .

كانت تكسب الانسان وتشده اليها فقط بشخصيتها فيصبح وكأنه سجينها . كان هنالك شئ يجذب الانسان للعودة اليها ، شئ لا يمكن وصفه ، شئ يدعو الى رجاء خفى . لا شك فى وجود شئ ما لكن هذا الشئ مجهولة . ولعل ذلك أحسن ، اذ قد يكون اعانتها الدور الكبير فى تشكيلها على هذه الصورة واعطاها هذا الشئ الذى لا يمكن وصفه .

لا شك فى أن هذا الشئ كان له المعنى الكبير فى صيغة فطرتها وشخصيتها ، مهما اشتدت غرابة هذا الاستنتاج . ولا بد أنه وهب كيان هذه الرقة وهذه العصبية وأيضا ذلك الانطواء على نفسها ، الصفة التى لازمتها دائما من البداية .

بلى ، لا شك أن عانتها هى التى صيرتها على هذه الصورة .

لقد تغيرت الآن فى عدة نواحى سواء فى النفس أو الجسم . مازال محياها محافظا على جماله الفذ لكن آثار الزمن بدت واضحة على قسماتها كل الوضوح . أما عينها فكانتا أقرب ما فى أعضائها الى ما كانت عليه من قبل . فقد حافظنا على جمالهما ومارالتا جذابتين ببلاغة تعبيرهما . لكن طرفها اكتسب شيئا من التوتر والاجتهاد تماما مثلما كانت ، مثلما يجب أن تكون اذ ان كل ذلك متوقع .

لقد خيم عليها عموما شئ يدعو الى الشفقة عليها . لكنها لم تفعل شيئا للترويح عن نفسها والعودة الى الانشراح ، للمقاومة . تركت نفسها

تندفع وراء أحزانها . وجشمت على محيطها دون أن تدري كعب ثقيل . أصبح جليسا يشعر بالثقل ، لكن تغيير ذلك لم يكن بيدها .

لم تكن لتفكر اطلاقا فى ذلك ، ولا فى كيف تبدو للآخرين . بدت وكأن كل ذلك لا يهمها فى شيء . ولم تعد تعطى ملبسها أهمية تذكر رغم أنها لم تهمله تماما ، وعندما تمشى أضحي عرجها أوضح مما كان عليه من قبل . وكأنها لم يعد لها اهتمام باخفائه ، فقد كان عرجها يبدو كأنه من مفاتها اذ أسدى على جمالها شيئا من الرقة واللفظ . وكاد يكون مناسبا لها وقد كانت تميل فى مشيتها فتصرف النظر عن عرجها . لكن تأثير الزمن واهمالها لنفسها جعل عرجها يبدو بصورة أخرى ويلفت الانتباه . لقد أصبحت أكثر من ذى قبل امرأة عرجاء .

رغم ذلك لم يفتر حبه لها . وليس له أن يشك فى ذلك ، اذ انه مازال يتوق اليها ، يتوق الى ما كانت عليه ، والى ما حققته من قبل سويا . مازال يتوق لحبهما ، لكل حنانه تجاهها ، ويتمنى لو يستطيع تغمدتها بنفس الحنان مرة أخرى . ذلك ما شعر به نحوها . آلمه أن يرى وجهها المتعب تبد وعليه ملامح العذاب وهو الذى بحث فى وجهها دون جدوى مرارا متكررة عن الصورة الصورة التى كانت ولا تزال عزيزة عليه .

لم يعد باستطاعتها تجنب بعض الضجر الذى غمرهما وخيم على حياتهما المنزلية . كانا يتحركان فى المنزل كالغريبين ، هو برم فى غالب الاحيان ، وهى متحملة برمه وكأنه شيء متوقع ولا حيلة لديها لابعاده .

أقلقها أنها لم تعرف بالضبط موقفه من حياة الروح بعد فناء الجسد ، ولا موقفه من الدين . أما هى فقد اقتربت من الايمان شيئا فشيئا وأصبحت تؤمن بحق دون أحكام مسبقة ، ولا عقيدة رسمية ، لكنه ايمان محدد بوجود شيء وراء ما نستطيع أن نرى أو ندرك . لقد شاركها بطريقة أو بأخرى عقيدتها هذه . وشاطرهما أفكارها واستطاعا - أحيانا - أن يتحدثا حول موضوع كهذا . لكنها لا تعلم اذا كان مؤمنا بحق . أقض مضجعها أن لا تعرف جوابا صادقا عن تساؤلها ، اذ هى تريد مقاسمته كل شيء وخاصة أهم وأعرق الاشياء . واذا لم يشاطرهما كل شيء شعرت كان ايمانها فقد بعض قيمته فلم يعد حقيقيا ، وكأنها فقدت الطمأنينة ، ذلك الامان الذى لا يعرفه غيرهما عندما يكونان معا .

أصبحت مغادرته للمنزل بمثابة الارتياح ، وكان فى الحقيقة يشعر مثل هذا الشعور فقط لانه آنذاك سيد نفسه ولم تكن له متعة أخرى يتلهى بها . كان يميل الى الجلوس فى مقهى عند المساء لقراءة الصحف أو لعله ليجلس فقط فى مكان ما وليرى بعض الناس . لم يستطع بالطبع تجنب التفكير فى أن هناك نساء أخريات ، وقد خطر له - أحيانا - أنه من العجب أنه عاش وسيقضى دون شك بقية حياته مع امرأة قد لا يكون له معها فى الواقع أشياء مشتركة ، أو - على الأقل - لم يكن الامر مثلما اعتقد خصوصا أنها امرأة عرجاء تعلق بها وربط بها حياته كلها . لكنها كانت المرأة التى أحبها ، وكل شئ آخر توقف على تلك العاطفة تماما مثلما يحصل عادة فى ظروف مماثلة .

لقد بدأ فى الآونة الاخيرة يفكر فى شئ . بدأ يتساءل فيما اذا لم يكن هذا التغير الكبير الذى طرأ على صحتها مرده الى حالة مرضية ، فهى لا تبدو موفورة الصحة . لكن لعلها لم تبد أبدا فى صحة جيدة . الا أن الآن أصبح توقعها ظاهرا لديه أكثر فأكثر . فقد رأى ذلك فى بشرتها التى مال لونها الى رمادى وبدت شاحبة . وفى أعراض عديدة أخرى كان متيقنا أنها لم تكن صحيحة ، اذ أنها تبدو كذلك .

<http://Archivebeta.Sakini.com>

سألته ذات مساء عما اذا كان يعتقد أنه يجب عليها رؤية الطبيب ، لانه تشعر بتوعك خفيف خصوصا أنها أصيبت بالارق . لعل الارق هو السبب ، اذ بان من الصعب جدا أن تستلقى فى الفراش وتبقى الساعات الطويلة دون نعاس .

رفع رأسه وأمعن النظر فيها . ثم توجه نحوها وجلس الى جانبها .

طبعاً ستذهب لرؤية الطبيب ، يجب عليها أن تفعل ذلك . سيذهبان سوياً فى اليوم الموالى . سألتها عما تحس ، عما اذا كانت تشعر بألم فى أحد أعضائها . أجابت : لا ، لا ، أبداً . وقلبك ؟ لا شك أنه هو - عزيزتى أرنا - لا ، لا أظن أن قلبى فى خطر . لكنه لم يقنع بجوابها . وسألها متى بدأت تشعر بالارهاق . فأجابته بأنها لا تستطيع التحديد . لا شك أنها شعرت بذلك منذ زمن بعيد . نظر اليها وأمعن النظر فى عينيها المفتوحتين ، المتعبتين ، الغائرتين . ثم مسك رأسها بين يديه .

ذهبا فى اليوم الموالى لمقابلة الطبيب .

نعم ، لم يكن قلبها يعمل بانتظام . لكن الطبيب خامره شك فى وجود مرض آخر . انها قد تشكو من مرض بالدم ، اذ هناك اشارات تدل على ذلك . لقد كانت مرهقة الى حد يجلب الانتباه . وأخذ منها بعض الدم للتحليل .

مشيا فى طريقهما نحو المنزل عبر شوارع المدينة وقد مسك كلاهما بيد الآخر .

لقد صدق الطبيب فى حدسه ، فهى تشكو فقرا كبيرا فى الدم . لم يبق لها من الكريات الحمر فى دمها أكثر من خمس ما يجب أن تملكه . وقد وصل بها المرض مرحلة قد تستمر معها فيها حالتها المرضية السنين الطوال .

شعرت بانهاك كامل عندما سمعت الخبر . لكنها استمرت هادئة ، ولم تصب بأى انزعاج . اكتفت بقولها : سأشفى من المرض .

لم تكن بحاجة للملازمة الفراش . لكن كان عليها أن تتبع نظام الحمية ، أن تتناول - الى جانب ذلك - شيئا من الزرنخ .

وعندما كان يمشى جيئة وذهابا بوجه نافر متقلب كانت تجذبه نحوها وتربت على خديه . ماذا ، أى أعز مخلوق لدى ؟ أعز صديق أملك ؟ وابتسمت له مطمئنة .

يبدو أنها لا تعرف شيئا عن خطر مرضها .

لمح الى أن مرضها كان خطرا . فقالت : لا ، لا أظن أنه بمثل هذه الخطورة . لكن ، حبيبتي ، أرنا أنت تعلمين جيدا ... انه مرض فى غاية الخطورة . انه قد يؤدي الى ... نعم ، قد يؤدي الى الموت .

- نعم ، لكننى لست خائفة من الموت يا هلفدان .

رمى بنفسه بجانبها ومسك ذراعها . هل تريد اذن أن تتخلى عنه ؟ هل عليهما أن يفترقا ، هما ... هما الاثنان ؟ ...

- لا لا يا هلفدان ، لن نفترق ، انك لا تعنى ما نقوله يا هلفهان .

تحدثنا طويلا . شرحت له ماذا كانت تعتقد وكيف أن الموت لا يعنى الا القليل . ان الموت لا يستطيع أن يفرقهما وقد وجد كلاهما للآخر . لا ، لم يكن الامر أبدا يمثل هذه السهولة . بكى طويلا بجانبها . لم يستطيع صد دموعه . نظر اليها ، الى وجهها الذى حافظ على هدوئه الكامل ، والذى أحال الالم شعوبه الى شحوب روحانى . لم يبد الدمع فى عينيها ، كانتا فقط لامعتين . هزت رأسها فى حنو مثلما اعتادت أن تفعل كلما حصل شئ ذو أهمية ، وكانت نظرتها تميل الى الشرود كما عرفها . جذبتة نحوها وقبلته .

أعادا الكرة تلو الاخرى فى كل محادثة انى نفس الموضوع . وتحدثنا الكثير حوله . تحدثا مرارا . وعاش كلاهما فى الآخر ، فى روح الآخر المفتوحة التى رعت كليهما يوما بعد يوم معا وكلا على حدة . كانا وكانهما فى حفل مستمر ، حفل باطنى مريع فى عظمتة .

أحبت أن ينتصق بها ، نعم ، لقد اشتاقت اليه اندفعت نحو حبيبها . وأسلمت نفسها له وكأنها ارادت بذلك أن لا يفارقها الى الابد ، أبدا .

كان شيئا لم يدركاه أبدا من قبل ، هذا الحنان الهادئ اللامتناهى ، هذا الحب الذى لا تتخلله شهوة ، بل هو اندماج كليهما كليا فى الآخر . كان شيئا لا يمكن فهمه - ألما وسعادة ، وعبادة سمت بهذا الشئ فوق ما عدها واحالته الى اعجوبة لم يفهما من كنهها الا القليل ، كأنها لطقس دينى فى لغز غامض . فمهما بلغ حبهما لبعضهما - لم يشعرا قط بمثل هذا ، مثل هذا التفانى الذى لا يمتلا الانسان الا عند دنوه من الموت ، عندما يحين الاوان الذى ينتزع فيه من أحضان من يحب .

استطاعا بعد ذلك أن يضطجعا ويحدجا بنظرين محترقين فى ظلام الغرفة ، فى بؤس صامت ، وقد مسك كلاهما بيد الآخر . استطاعت أن تغفو قليلا ، وسمعها تتنفس بهدوء . بقى ساكنا . لم يرد أن يستسلم للنعاس قبلها ، ولن ينام أكثر منها .

لم يفترقا قط بعد ذلك خلال النهار . فكانت حياتهما واحدة تمر يوما فيوما وأسبوعا فأخر نحو ما قد يحصل لهما .

تحدثا حول كل شئ مضى . كل شئ اشتركا فيه وتقاسماه سويا .

قالت :

- نعم ، لقد عشنا سعيدين يا هلفدان . عدد قليل من الناس أمكن لهم أن يعيشوا سعادتنا - ومسحت على رأسه بيدها الصغيرة النحيلة التي غدت كانها فقدت كل ثقل - لقد تقاسمنا دائما كل شيء بداية من اللحظة التي التقينا فيها .

- تلك اللحظة ، هل تذكرينها ؟

نعم ، لم يلتقيا مثلما يلتقى الكثيرون ، كما يلتقى شابان عادة . لا ليس كذلك . لم يكن الامر أبدا كذلك بالنسبة لهما .

وكن شيء عرفاه ورأياه ، كل تجربة عاشاها بعد ذلك معا . تقاسما دائما كل شيء .

نعم ، تذكرنا . نذكرنا الكثير مما عاشاه في حياتهما معا . واستطاعا الآن .. وهما يستعرضان ما حصل - أن بحياتهما كشىء كامل وثرى . لقد أصبحت حياتهما كذلك بفضل جبهما الكبير ، واستوحت معناها العميق منه ، من هذا الاندماج الباطنى الشامل .

لقد قالت ذات يوم أن ليس لهما حق فى الشكوى ، إذ لا يمكن حياة أن تكون أجمل من حياتهما ، ولا أن تكون أكمل سعادة منها . يجب عليهما أن يكونا شاكرين على ما أوتيا ، أن يشكرا وأن يكونا مهيتين لتسديد دينهما مما منحاه من سعادة أرضية .

لكن الشئ الباطنى الذى جعلهما يشعران بكل هذا يجب أن ينقذ من الموت ، وأن لا يفنى أبدا . لقد كان أعظم وأثمن من أن يضمحل .

عاشا بشئ مغلق ، لهما وحدهما ، وكأنه لا وجود لغيرهما . عاشا فى هواء نقى حيث بدا الألم نفسه ، نعم حتى الموت ، سهل التحمل . وما فتئت ثقتهما الساكنة أن أثرت فيه فأصبح يشعر تجاه الموت ما لم يخطر له على

أنه يستطيع فعله . منحه الطمأنينة فى لج العذاب حتى لا ينهار تحت وطأة الألم .

بدأ الحديث على المولود يقل شيئا فشيئا .. حتى هى لم تعد تذكره باستمرار . أصبحتا هما موضوع الحديث ، روحاهما اللتان لن تفترقا ، اللتان تعانقتا الى الابد . لقد آمن كلاهما بذلك . واعتقادهما هذا هو الذى كان لهما سندا . وهو الذى منحهما القوة والسلوان والامل المثير .

كانت زوجته ستسافر ليلتقيا بعد ذلك من جديد ، قريبا من جديد ، هما الاثنان .

لم يعد ما بينهما مجرد حب ... يجب اعطاؤه اسما آخر ، اسما أعظم وأقوى وفى المكان حيث اضطجعت على سريرها شاحبة متواهية لمع طرفها بنور من عالم اعتقدت أنه لاح وكانتا كانت آنذاك قد ألفته .

لقد مضى وقت طويل الآن منذ ملازمتها للفراش . خارت قواها ولم يكن لديها الكثير لتقتنى منه . لا شيء غير روحها مازالت محافظة على قوتها . بدأ جسدها ينتظر الفناء ، وقد عمل على الوصول الى التلاشى . ألمها صداد عنيف كاد يكون ملازما لها طول الوقت . ولم يعد فى استطاعتها فى أغلب الاحيان تقبل الشيء القليل الذى قد تأكله . لكن بدت وكأنها لم تعد بحاجة لتغذية حتى تبقى على قيد الحياة . كان فى امكانها أن تعيش مدة أخرى لكن لا أحد يعلم طول هذه المدة ، وقلبها الضعيف قد تنطفئ منه شعلة الحياة فى أى وقت .

لزم جنبها وكاد لا يتركها ابدا على انفراد .

استطاعا أن يتحدثا . استطاعت أن تعبر عما تقصده تماما بنفس الوضوح المعهود . وفى السكون المخيم حولهما ، السكون الذى يخيم حيث الموت ينتظر ، تحدثا عن المستقبل . تعاهدا على أن يعيش كلاهما فى الآخر ، كما نستطيع أن نفعل أيضا بعد الموت ، أن ينتصرا على الموت .

بلى ستكون دوما معه ، سيشعر دائما بقربها .

أخذت منه العهد على أن يبقى هادئا وساكنًا عند موتها . كذلك يجب أن يكون . ذلك هو الصحيح ، ولا شيء آخر . وعدها بأن يحاول رغم كل شيء مسك نفسه ما دامت طلبت منه ذلك .

استطاعا أن يتحدثا عن هذا الموضوع دون جزع ، تقريبا دون ألم . الآن استطاعا أن يفعلا ذلك ، لو وصلا الى ... الى مثل تلك الطمأنينة .

لا ... لا يوجد أى حد فاصل بين الحياة والموت ، ليس الامر كما نعتقد ، مثل الباخرة التى ستقلع ، ستبحر بعيدا ، بعيدا ... تراها تغيب عند الافق وكأنها تغرق فى أعماق اليم الى غير رجعة ، فى بعد لا نهائى ...

لكن الذى استلقى على الشاطئ فى بؤس صامت قد يراها تغيب وراء زهرة .

وذات مساء ، عندما جلس ومسك يدها قبيل الغروب ، أحس أن يدها بردت . انحنى عليها فرأى أنها قد ماتت ، قد فارقتة ...

لم يبك . لا ، لم يبك . نظر فقط ، نظر الهيا ... استمر جالسا ويدها فى يده ... ويدها العزيزة فى يده ... مثلما كانت ... تماما مثلما كانت من قبل ...

لا ، لا ، لم يكن فراق ... لا يوجد حد فاصل ...

لا حد ... لم يقع أى شيء ...

لم يفعل شيئا غير اغماض عينيها ... أغمضهما ... بلطف ... الى أن يبعثا بنورهما نحوه فى عالم آخر ...

يتبع

تعريب : المنجى الردادى

واحة برتقال على ضفة بحيرة البلوط

تلوح في الفضاء - مشمئزاً - بيدك اليمنى وتلملم أطراف ثوبك الفضفاض لتقوم الى نجدة هذا البائس . وكعادتك كان عليك أن تفكر للغير . وكنت تجلس تراقب حركة المارة في زقاق ضيق مترب من أزقة هذا الحي البائس ، وعلامات يؤسه مظاهره القزديرية ، وسقوفه الواطئة ، وأبوابه الصغيرة المرقعة بحديد علب المصبرات ، ونوافذه الصغيرة ، وطوبه الرخو . وهذا الرجل الراكب صهوة حماره فقير ، وعلامات فقره عمامته القائمة على رأسه بأدهانها وأوداكها وأوذاحها . هذا الرأس الاجوف ؟ . يصارع جاهدا لاختضاع التوازن بقدميه الحافيتين لرحا استقرت بفردتيها في عين زنبيل واحدة . فكرت مرة في الموت فسألتهم مفجوعاً :

« ترى ما أنتم فاعلون بعد موتي ؟ ... »

وجم الكبار . ابتسم الصغار . بل هنالك من قهقهه ومن هزته لوثه ضحك أبتسم ؟ ...

اقترب منك صاحب الحمار فأوقفت حماره بلطف . وقف غير مرتاح في وقفته . لاهث . أشرت على الرجل بفكرك الثاقب وعقلك الراجح ورأيك الصائب أن يقسم الرحا بين عيني الزنبيل وبذلك يمكنه أن يستقر مرتاحاً على ظهر الحمار . أصابت الفكرة استحسانه فسألك جذلان :

- كم جمعت من الثروات وأنت صاحب هذا الفكر الثاقب والعقل الراجح والرأى الصائب ؟ ...

قلت مزهوا :

- لا شيء ... لا شيء ... وأنا الفقير الى ربه فلان بن فلان ، أصيل قرية صغيرة وأسكن - للضرورة - مدينة كبيرة . اقتات بالخضر وأخدم الناس لوجه الله الكريم .

لم يقل لك مجاملا : «خادم القوم سيدهم» بل اهتز مفجوعا ، وهو يحاول النزول راجيا منك أن تساعد في استعادة وضعه الافضل الذى كان عليه . فتكون الرجا فى عين زنبيل ويكون هو يصارع بقدميه لاختضاع التوازن فى عين الزنبيل الاخرى .

وعرفت فيه فلانا بن فلان . ذاك الرجل المتهم بالثراء وثروته محسود عليها وقد جمعها - أو أتت وحدها - بفكره هذا المخروم . تركته لحاله ، واتجهت خارج هذا الحى وخارج هذه المدينة . فلما حلت بذاك السهل لم تكن لك من فكرة عن السهل أكثر من أنه من أخصب أراضي البلاد وأن بحيرة كبيرة تقتطع لنفسها مكانة هامة فى صدره . بارزة ، زرقاء على الخارطة الجغرافية اكتشفت أن ضفة هذه البحيرة الواسعة رملية . قرأت صدفة ما لم يقرأه آخر فى إحدى المجلات الزراعية أن الاماكن الرملية والتي بها قليل من الملح غالبا ما تصلح لغراسة البرتقال . ثم ان اهالى هذه الجهة يلحون ويطالبون بالمساواة فى تقسيم الثروات والاستثمارات التى ترصد للتنمية حتى قال «ممازح» : أخشى على هذه البلاد أن تنقلب فى البحر لافتقادها التوازن . فكرت - وحدك طبعا - تفكيرا لم يسبقك اليه آخر أن هذا التفاوت حتمية تاريخية . لا أحد بإمكانه أن يعكس مجرى التاريخ . ثم اننا تعودنا أن نصرف مليارا فى مكان ما فى تجربة خاسرة ولا نحاول أن ننفق مائة مليون فى مكان آخر رابحة ولو على سبيل التجربة . ثم ان هذه البحيرة الواسعة ألا تمتد حتى مشارف قرينك ؟ ... فىكون شرقها البحر والمركبات السياحية تكتسح الشواطئ الجميلة التى اعدت خصيصا للسواح أولئك الذين يجلبون معهم العملات الصعبة ويكون غربها غابة البرتقال بدل البحيرة التى تنتج حشرات وروائح كريهة . ويكون شمالها غابة الزيتون ويكون جنوبها أهلا ب... المجموعة البشرية صغيرة لا يمكنها أن تملأ فراغ العمارات الشامخة ولا القصور الفخمة ولا المباني الصغيرة القليلة التى تشوه وجه المدينة . كنت تقوم بجولة عبر شوارعها عند ما سمعت نباح كلب فى البعيد فهالك الفراغ . أطلقت صوتك عاليا فسمعت صدها كصوتك فى واد غير ذى زرع . صحت وحدك فى جنون : أين أنتم يا سكان المدينة !!! المدينة فضفاضة وأنت وحدك سكنها !... لما قرأت خبر مدينة النحاس - خرافة قديمة وتجزم دائما أنها خرافة قديمة - كنت تندد بتبذير الثروات . رأيت ذلك - ولم تعد تراه - من عجرفة الملوك والمستبدين بالامر والطغاة الجبابرة . لما قررت وحدك اقامة غابة البرتقال حول

البحيرة ، رأيت انتردد فى معالم الوجوه ولكنك لم تر الامتناع - كالعادة - . جلبت الاموال دينا لتهيئة الارض وجلبت المياه من بعيد وجلبت المغروسات من بعيد أيضا . رفض أحد الفنيين ممن لهم دراية واسعة وخبرة بالتربة والارض اقامة المشروع والتعامل معك . زادك رفضه اصرارا فاتهمته بالجهل . ولم تمض مدة قصيرة حتى كانت شجيرات البرتقال تملأ المساحات الشاسعة تنفست هواءا فاسدا واستنشقت رائحة الزهر تغطي على رائحة عفونة ماء البحيرة .

امتدت قدامك ساكنة ، انتفضت وزدة برية على انبساطها . كان طيرانها الحركة الوحيدة فى هذا السكون . أحدث طيرانها دوائر على الماء تتسع قدامك ببطء . تنحسر الوزدة بين نباتات القصب . تساءلت والخيبة تنهش داخلك :

« لماذا لا تكون هذه البحيرة آهلة حية ؟ ... »

فتكون موطننا لتربية الاسماك مثلا؟ وقد قرأت ما لم يقرأه غيرك أن مثل هذه البحيرات فى بعض البلاد المتقدمة غالبا ما تكون مصدر ثروات لا مصدر تعفن وانتاج حشرات . لتكن - مثلا - صالحة لتربية عدد كبير من المخلوقات المائية . لم تجد صعوبة فى رصد الاموال الضرورية لهذا المشروع . وتكفلت احدى المؤسسات العالمية المختصة بتطهير هذه البحيرة وتكفلت أخرى بدراسة وجلب أنواع الاسماك الصالحة لتربيتها بهذه البحيرة فكانت التقديرات - على الورق طبعا - تفوق المأمول انتاجه . من ذلك أنه بإمكان البحيرة أن تنتج عشر مرات حاجة البلاد من الاسماك بأثمان زهيدة . وجلبت الاسماك . انتعشت الاسماك كما انتعشت أنت وأنت تراها جذلانة سابحة فى الماء . وتساءلت انذاك : ما الذىبقى انتاجه طبيعيا فى هذا العالم . قطعاً انه عصر العلم والتصنيع . وفى احدى محاضراتك المرتجلة قلت ان لا خوف على العالم من المجاعة ما دامت هنالك وسائل بديلة لانتاج الغذاء فسمعت متحدثا قال : انه كره لحم الدجاج اذ أضحى طعمه كطعم المطاط . ولما جاء الصيف وارتفعت أسعار الغلال الا سعر البطيخ والدلاع طفت السميكات منتفخة على سطح ماء البحيرة لا تهتمك الاسباب . وجفت شجيرات البرتقال . لا تهتمك الاسباب . لعنت المغالطات الفنية . لقد كنت ضحية الخديعة لانك لا تخطئ لقد سبق أن قلت : ان الذى يفكر فى شؤون الناس لا يمكنه أن يخطئ لان أخطاءه الكوارث

ولا يمكنك أنت أن تخطيء لانك لم تكن فى يوم من الايام مصدر كوارث . كل ما تبقى فى البحيرة ، المياه الراكدة فرخ فوقها الباعوض وعلى ضفتها الدائرة بعض الطحالب قد سمقت فيها مجموعات القصب السامفة بخضرتها اللينة وقد غزا بعض رؤوسها الاصفرار . لما كنت صغيرا كنت تققطع لنفسك واحدة وتصنع مزمارا وكنت تبتعد لتجلس فى مكان قصى فى ظل زيتونة وتسكب الالحان : ألعانا مشوشة . ولكنها كانت تطربك . القصب كثير فلماذا لا تكون الاستفادة به ؟... وفكرت فى شأن القصب وصلوحيته فى الحياة اليومية فكنت تجده مكحلة للنساء ، وقلما للخطاطين ، وحصيرا لسقوف الاكواخ ، ومزامير تباع للسواح ... تصنع بأساليب حديثة تبعدها عن أساليب الصناعات التقليدية ، وتباع فى الاسواق الداخلية بأسعار زهيدة . لم تجد صعوبة لاقامة مصنع للمزامير . وبدأت صنع المزامير . كان حريفك الوحيد مجموعة السواح الورددين على المركبات السياحية شرق المدينة ... لم يأت السراح ذاك الموسم فتراكم الانتاج . لم تجد من حل لترويجه الا أن يكون التزمير واجبا وطنيا ولذلك اقنعت السلطات بهذا الواجب فتحتم على كل مواطن اقتناء مزمار حتى يزمر . فالموسيقى تهذب الاخلاق . ولتخفيف حدة هذا الاجراء اقترحت أن يكون التزمير بهذه المزامير صيفا . وبذلك تعم الفرحة وتكون البلاد مهرجانا . هذه انغام المزامير تسمعها ممزوجة بأناشيد الصراصير ... تساءلت مرة أكانت حقيقة حكاية الصرار والنملة أم أنها خرافة ؟ ...

محمد الهادى بن صالح

فراغ في دار أبي الوفاء

ما هذه الريح التي ما انفكت تنفخ صباح مساء ! اما آن لها أن نهذا فتريح الكون من الذبذبة وتعطي الكائنات فرصة الشعور بثبات الارض أما آن لها أن تسكن بعد أن استمرت سنين طويلة لا يعمر سكون الكون وفراغه سواها ! أما آن للهدوء أن يعود اليها لتعرف هذه الزيتوننة المسنة الاستقرار فتعود كما كانت مكتسية أوراقا وأغصانا بعدما ظلت طيلة سنوات الفراغ جرداء عارية قد بخلت عما حولها من محيط فلم تمنح الحيوان « ضريعها » ولا الانسان عصيرها ولا الجو القاتم البارد اليابس حولها دفء اخشابها ونعومة ظلها . ترى هل يمكن لهذه الزيتوننة أن تعود لسالف تجاوبها مع الانسان والحيوان والطبيعة ؟ ترى هل جف منها الضرع فبخلت عن العطاء الى الابد ؟ أتراها هي أيضا قد تأثرت بما يعيشه معاصروها من الفراغ وأزمات القحط فنخر الفراغ عودها وفلص منها الاعضاء فلم تعد كما كانت منذ الازل مصدر النور الذي يضيئ الظلام القاتم في نفوس البشر ومصدر الخير والبركة التي لم يعد يعرف لها الناس طعما منذ زمن طويل ؟ ترى هل يتحقق أمل العودة الى سالف العهد قبل اندلاع الازمة ؟ : أزمة الرزق المهدد ، أزمة الجوع الذي دفع القوم ضريبتها تشردا وهطاية وتخففا مفروضا في مكاسبهم . لقد نالت أزمة الفراغ من القوم الشيء الكثير فقد حطمت نفوسهم ، وأذلت كبرياءهم ، وذهبت بكل مكاسبهم ، وتركتهن اشباحا ضائعة تحلق في الفراغ الذي يملأ كل شيء حولهم . انه فراغ ذات اليد اذ لم تعد « تكمية » البعض منهم لتنعقد على الدرهم أو الدينار . انه فراغ البطون الا من المصاريف التي بدأت تتآكل . انه فراغ الاخلاق التي بدأت تنتكس . انه فراغ المبادئ التي لم تعد تقوى على الثبات بحيث لم ينج من هذا الفراغ المطلق الا القاب الذي ظل يغمره قبح ضئيل من الايمان والامل لم يستطع اشتداد المحن ولا توالي الازمات والاهوال أن تذيبه لان به بقية أمل لم تزل تشد القوم الى تلك القوى الخفية الى ترقب الكون وتتدخل فيه في الوقت المناسب لتحول دون

ضياح ذلك الحيط الاخير الذى لا يزال ينعش القوم ويخلق فيهم طاقات للصبر لا تنفذ قدرة على أن تملأ الفراغ فى قلوبهم فتجعل بوادر الخلاص وشيكة الظهور لقد عاش القوم الفراغ وتذوقوا حلاوة الفقر المدقع وتصارعوا مع الازمات التى ان استطاعت ان تذيب فيهم الشحم وتقلص منهم الجلد فلم تستطع ان تنفذ الى العظم ، لقد ظل الهيكل سليما يسعى رغم ما به من وهن الى ضرع يامل ان يدر والى زرع يامل ان يخضر والى جفاف يامل ان يعقبه غيث . نعم لقد استطاعت ازمة سنوات هذا الثلث الاول من هذا القرن ان تمس من القوم الظاهر والباطن وان تبلى فيهم العود وتمسخ فيهم الوجوه فترسم التعاسة عليها صورا مزرية للشقاء فغدا الواحد منهم شبعا ضائعا فى اللا محدود من الفراغ فلم يعد يقوى حتى على حمل نفسه لقد بدأ مشغولا عن التفكير فى نفسه فكيف تراه قادرا على التفكير فى العيال فى الزوجة فى الابناء فى الوالدين ، هذا القطيع الصغير الذى بدأ الفراغ يلفه والجوع يؤلمه والوباء ينقض عليه من حين لآخر ليختطف فردا من أفراده فيريحه مما يعانيه من الم الجوع ووخز المرض ولم يكن حظ الميسورين باحسن حال من غيرهم من القوم والسعيد السعيد الذى استطاع الخروج من هذه المحنة بناقة أو جمل هو كل عدته فى الشدة وملاذه فى الرخاء كان قد أدى بدوره ضريبة الازمة فبدأ بارز العروق مستوى الذروة نأتى الضلوع انها آخر ما تبقى لهم من وسيلة الضرب فى الارض وشد الرحال الى الشمال موطن الحصب والمطر عسى ان يعوض عسرهم يسر وفراغهم امتلاء وشبح الموت الذى يطارد ابناءهم املا فى الحياة . لقد ذهب القوم ضحية ازمة صنعها الانسان ليذهب ضحيتها الانسان لقد بلغ سخط القوم أشده ونقمتهم ذروتها ويأسهم حده الاقصى وانفجرت الازمة وها هو الامل يراود تلك النفوس القلقة التى اضناها الياس فاورثها فتور همة وضعف ارادة فتلت ما فى نفوس القوم من مروءة وشجاعة واصالة اوشك آخر خيوطها أن يتمزق فبدأ القوم يعيشون بوادر ارهاصات جديدة ومؤثرات حادة تظافرت كلها فكان المخاض وكان الوليد مجتمعا منحلا غير واثق من نفسه ابرز صفاته الجشع والاثانية واخص خصائصه موت الطموح فيه وواد الفضيلة بين افراده لقد حولت هذه الازمة القوم الى كم مهمل من الافواه المفتوحة والسواعد الهزيلة تملأ حيزا من الفراغ تنفث السموم وتقذف بالحمم كانت تلك الميزة العامة لكل هذا الامتداد الزمنى الذى كتب له ان يتوج النصف الاول من هذا القرن لقد كانت البداوة فى فترات

جوعها وغروز ضرعها وبياض مراعيها ابرز ما يميز القوم ، فخيم نتيجة لذلك
 الجشع والشح والقحط فاذا اسعد الناس حالا من يظفر برغيف الحبز يعود به
 لصغاره والسعيد السعيد من يحصل مع الرغيف بشربة التاي فى الصباح ،
 واذا اسعد القوم حالا من يشتم من قدره ليلة السوق رائحة اللحم . فى خصم
 هذه الاجواء التى كانت تعاني منها العائلات كانت عائلة ابي الوفاء تبدو كأن
 لا صلة لها بالبقية وكان لا رابطة تشدها اليهم . كانت عالما قائما بذاته
 منغلقا على نفسه كانت تعيش دنياها الصغيرة كأنها لا تتنفس بانفاس القوم
 وكأنها على غير هذه الارضية التى يتحرك فيها القوم ، تعيش السعة كان القوم
 لم يعرفوا طعم الخصاصة وألم الحرمان وضراوة الجوع ووخزات العرى وتشقق
 الاقدام كأن ابا الوفاء فى سعة عيشه ويسر حاله وحسن بزته وثرأ مائدته
 ليس من هؤلاء القوم انه غيرهم فى كل شىء فى أخلاقه وهندامه فى سعة حاله
 ورحابة صدره فى مشيته ووقاره ، ذلك الوقار الذى ينظر اليه القوم بعيون
 قد ملاها الفراغ فاذا كل شىء امامها كبير ومهاب وبارز وعظيم واذا البصائر
 منهم مغلقة والابصار معطلة فلم **تبق لها ازمات الفراغ** التى لا تزال اثارها
 بارزة فيها الا ابصارا هى أعجز من ان تتجاوز القشور الى اللب واوهى من ان
 تغوص فى خفايا الامور لترقب عن قرب ذلك العالم الصغير فى نفس ابي الوفاء
 ذلك العالم المستتر بالمظاهر الخارجية التى ما كانت يوما الا وسيلة تعمية
 واداة تغطية للواقع المأسوى الذى يعيشه أبو الوفاء هذا الرجل المحسود على
 نعمته فى الباطن المتملق له فى الخارج هذا العظيم فى اعين العمالقة الاقزام
 الذين يتعلقون بتلايب ثوبه اينما حل فلا ينزعهم عنه الا الدينار يدفع به
 صولة هؤلاء الاقارب الاباعد ويسكت به الحاح هؤلاء المتوددين او يمسح
 به دموع هؤلاء الغلابى من اطراف القوم كان يعرف فيهم منازعهم هذه ويقف
 بجلاء ووضوح على ما تنطوى عليه نفوسهم من خبث ومع ذلك كان يلاقيهم
 دوما برحابة صدر وقبول باسم ويد تهب ما بكفها من العطاء ، لكن تصرفه هذا
 ما كان ليلقى دوما هوى وقبولا فى نفس الخضراء زوجته تلك التى وهبت
 ذكاء وقادا وبصيرة نافذة اكتسبتها من عمق التجربة التى عاشتها بتعدد
 الزيجات التى مرت بها. كانت خضراء تنطوى على خبث ماكر نجحت بدهائها
 فى اظهاره فى عين ابي الوفاء بمظهر الوداعة واللفظ بحيث استطاعت ان
 تلبس مواقفها وتصرفاتها معه لبوس الزوجة النصوح التى كانت ترى سيد
 بيتها وعنوان فخرها يتهافت عليه القوم طمعا فى ماله وتوسلا بجاهه

واستغلالا لمكانته الاجتماعية لشده ما كان يحز في نفسها ان ترى أبا الوفاء يصرف لسد فافة قريب قعد به الدهر أو يمسح دموع يتيم قسا عليه الحبل فافقده أبويه لقد كانت خضراء تنظر بعين حادة كيف يدفع زوجها ضريبة الوجاهة وأتاوة المجد وثمان اليسر الذى تعيشه وترقب بعين كسيرة هذا الضياع الذى بات يهددها من جراء هذا الفراغ الذى لا يزال يملأ البيت ، لقد نجحت خضراء بما اوتيت من دهاء استقته من تجربتها الزوجية الاولى فى كبت ما بداخلها من حسد وعلى التصرف بما فى باطنها من نفاق لقد نجحت فى طبع كل ذلك بمسحة من الدهاء جعلت من يخالطها عاجزا عن ادراك ما تنطوى عليه من خامات دهاء لم تصرف منها بعد الا القليل وتمر الايام رتيبة فى حياة أبى الوفاء ويستمر الروتين فى علاقته بالقوم فاذا المواقف هى هى لم يطرأ عليها تغيير واذا السنوات الخمسون التى بلغها تمر هى أيضا تاركة آثارها على كاهل أبى الوفاء جاثمة بفراغها القاتل على خضراء وعلى ما حولها من متاع وها هى بوادر ارهاصات جديدة بدأت تطل على هذا الثنائى المتناقض . لقد آن له ان يلتحم وأن يثمر التحامه هذا ، لقد آن للكرم والتسامح والطيبة أن تمتزج بالذكاء والخبث والمراوغة . لقد آن لسعة الصدر والمروءة والعطف أن تتلاقح مع الملامح الجميلة والذوق المرفه . لقد كانت الاشهر التسعة الماضية التى توجت سنوات أبى الوفاء الخمسين وبسنوات خضراء الخامسة والثلاثين كفيلة بانجاح هذا التلاقح والجمع بين هذه الحصال فى ثمرة يانعة اهتز لها البيت واهتز لها الجيران على غير المألوف من عادة القوم . فاذا ثالث الاثنين فائزة هذه التى أشاعت صرخاتها الاولى فى البيت بوادر حياة زوجية جديدة ارتاحت لها نفس أبى الوفاء وجعلته ينتكس وجعلت سنواته الخمسين تتزحزح ببطء تاركة مكانها لنشاط كهل كان أبو الوفاء قد فارقه منذ سنوات ، انه قد انتفض انتفاضة كاملة ساعدته على أن يطرح ما بنفسه من كآبة الفراغ الذى كان يعيشه فى البيت وثقل الفراغ الذى كان يواجه به المستقبل ليسعى بالجهد كله الى أن يعيش لفائزته ولام فائزته ، لقد عاد اثر كل ذلك على نفسه فبدأ رجلا منتظما فى تصرفاته مستعدا لفعل كل شئ، لاجل فائزته ، على استعداد لينهب حياته لحياتها وصحته لاسعادها وماله لاشاعة السعادة حولها ولكنه ما استطاع قط أن يتزحزح قيد أنملة عما ألفه من عطاء وعما اعتاده من صفات تلك الصفات التى ما انفكت تتأكد فى طباعه وترسم فى تصرفاته بتأكد الايام والسنين فى عمره . أما خضراء فكانت

بدورها لفائزة الام والحاضنة والحادمة ترى فى الحفاظ عليها حفاظا على مكانتها فى البيت . أرضعتها مع لبانها عصارا ما تنطوى عليه من نفس حساسة وقلب يقظ حار وذكاء ممتزج بدهاء كما أعطتها من ملامحها وجمالها الشيء الكثير . جاءت فائزة جامعة فى ملامحها لصفات جمالية هى كل ما توارثته الام عن امهاتها من مقاطع الجمال فى عشيرتهن الامر الذى أورثنهن على تعاقب الاجيال شهرة وغرورا وصلفا وكبرياء جعلهن يعتقدن ان من حق امثال ابى الوفاء فقط ودون سواء من الرجال ان يتعاملوا مع هذا الجمال وان يأنسوا بقرب هذا الحسن ويضعفوا أمام هذه الهبة الجمالية وينقادوا لمثل هذه الوجوه الحسان وأن لامثال أبى الوفاء دون عامة الناس تساق هذه الانوثة الطافرة البادية فى الواحدة منهن فى حديثها وزينتها ، فى قامتها وقسمات وجهها فى السحر الذى لا ينتنى حتى فى ساعات ضعف النساء ! فى الاغراء الصارخ المنبعث من العيون التى يقرأ فيها الناظر جنسا ينفور وأنوثة تتحرك ودعوة مغرية لن يقوى غير أبى الوفاء على التصدى لها بالسكون والجمود ولا أحد غيره يستطيع أن ينصرف عنها لينصهر فى الفراغ وليضيع فى غيابه غير عابئ بصرخات الانوثة التى لا تعرف حدا للطفرة . كانت السوالف وخصلات الشعر الليلى الفاحم فى الواحدة منهن تتهالك فى انحدارها صوب صدر هو المرمز قدت منه وهى الشمع أذيب فيها فتبدو فى صراع دائم مع النسيم الذى ما كان ليصغى لصرخاتها ولا ليتأثر بنعومتها بل كان يرى فيها المزامح اللدود الذى يحول دونه ودون الاستراحة لملامسة طراوة الانوثة ونعومة الدفء فيها . وتمر الايام فى دنيا الاطفال سريعة وخاصة الفتيات اللواتى يبدو كأن فى كل خلية من خلاياهن جن مارد يتخطى بهن السنين ويحطم أمامهن الحواجز وتشب فائزة فى هذا البيت تحت رعاية أب هو الطيبة بعينها ممزوجة بقدر متواضع من التعليم ورصيد وافر من التجربة والتدين والانضباط وتحت رعاية أم هى الدهاء يتحرك فى اطار المكر والتصنع الظاهر ، هكذا كتب على فائزة أن تعيش فى ظل رعاية أسرية متذبذبة المبادئ وكتب لها أن ترتوى من رافدين هما التناقض فى أجلى مظاهره ، ترى كيف تحسن الجمع بين النقيضين ، ترى كيف تستطيع طفلة فى عمرها أن تتحمل اتجاهين على طرفى نقيض ترى كيف تستطيع أن توفق بين رغبة أب تقليدى لا يرى لابنته غير اطار الزوجة الصالحة للزوج الكريم والأم الصالحة لاجيال لاحقين وبين رغبة أم متعطشة الى اليوم الذى ترى فيه ابنتها فتاة فى شرح الشباب تفيض

أنوثة وتتفتق جمالا يتهافت الخطاب صرعى على باب دارها ، انها لتنتشى برؤية الابطال يهون من علياء سموخهم ليتحطموا متهالكين أذلاء أمام كبرياء فائزة ، ان ذلك أقل ما يرضى ما فى نفس خضراء من طاقات الطموح وكل أملها أن ترى ابنتها تأسر القلوب وتضنى العشاق لان ذلك يريحها من عقدة الكبرياء التى ما انفكت تلح عليها وتجعلها تقرر بداخل نفسها أن فائزة فوق أن تكون لفتى واحد ولرجل واحد لان جمالها وذكاءها لا يقدر رجل واحد على تغطيته ولن يقوى فتى واحد على مواجهته لانها فى نظرها ثقل لا يعادله الا ثقل رجال منصهرين هم الوجاهة والثراء والشجاعة معا . وأنى لرجل واحد أن يكون له كل هذا الثقل وأن يجمع فى ذاته كل هذه الصفات ، لقد بات وجود الكفاء أمرا صعبا تسلت عنه فائزة بالانكباب على دروسها وبالاجتهد للبروز فى المدرسة علها تجد فيه متنفسا يريحها من وخز الكبرياء المفضوح التى تدفع اليه دفعا والذي كانت مرغمة على أن تسائر أمها فيه .

فى غمرة هذا الصراع النفسى بين واقع تحسه وتعيشه وبين غرور ووهم كاذب تعافه نفسها طبعاً وتنفر منه جبلة اذ لم يكن فى نفسها هذا الكبرياء وليس فى تصرفاتها أدنى أثر له . فى دوامة هذا الصراع المتسم بانفصام الشخصية يسوق القدر لفائزة الفتى عمارة ذلك الغلام المغمور الذى كان يكبرها بأكثر من عقد ونصف ، والذي كان يبدو وهو فى سن الخامسة والعشرين بسنداجة طفل العاشرة وضياح اليتيم وأبواه على قيد الحياة . كان يبدو من خلال زغب شبابه وغزارة شعر ساقيه ذاتا قصر فيها العمر الذهني على مسايرة العمر الزمنى . انه نكرة من النكرات قاذفت به الحياة قذفا الى أسرة أبى الوفاء فنزل منها منزلة الابن يعمر فيه الفراغ وقنع بتواجده مع فائزة بالاشارة يسرع الى تنفيذها وبالرغبة يتفانى فى تلبيتها وبالاهانة تلو الاهانة فيراها أمرا مدخولا عليه ومبدأ لا جدال فيه . هكذا كان عمارة الغلام الذى لا يفارق فائزة بنظرات الابله المعتوه الذى يرقب فى ضياح وحيرة بوادى تصرفات يعجز عن تفسيرها . أما فائزة فكانت ترى فى شبحة غباوة الابله وحماسة المعتوه وان بدا العقل منه سليما ، وترى تصرفاته ازاءها انغلام الضعيف الذى لا يقوى حتى على مفاتحتها بالحديث لكأن القدر ساق اليها هذا هذا الغلام ليكون البيدق الذى تحركه فى ركح حياتها وأرضية تصرفاتها ، كانت لا تراه أكثر من خادم مطيع وغلام سوق وكانت الاسرة على العكس من ذلك تراه لها ندا وترتضيه لها فارس أحلام وليس أحد سواه يستطيع أن يملا فراغها أما هى فكانت لا ترى فى ذاته من الرجولة غير الرضى بالدون

وغير تقبل الاهانات ولكن القدر شاء وألح على أن يكون عمارة خطيبا لفائزة ارتقت به ضغوط العائلة وتقاليد الوسط الى أن يتوج مثل هذا التتويج تحت تأثير مبدأ - لا تعلق العين على حاجبها - على الرغم من أنها لا تلتقى معه فى صفة ولا تتقارب معه فى خلال اذ كانت تفوقه ذكاء وتفتحاً وكانت قوامه عليه بثافتها وجمالها ونسبها لكنها على الرغم من كل تلك الموانع والحواجز وجدت نفسها مرتبطة بخطوبة معه خطوبة تبدأ فى تقاليد القوم بلفظ يردد حتى يمج فلا يولد فى الطرفين الا النفور والانكماش ، يسرى فيشل التصرف ويقيد المواقف ويغطيها بغطاء التصنع وهكذا كانت بداية هذه الخطوبة المفروضة بداية مأساة سوف تلف بردائها كل الاطراف وسوف تكون فوق الاحتمال وأقوى من أن يرجع صداها الفراغ وأعنف من أن يتسع لها صدر أب وعاطفة أم وشباب فتاة وغباوة غلام وأدهى من أن تحتضنها تقاليد وترعاها عادات ، لكن ما عسى فائزة أن تفعل ازاء ثقل العرف الذى يضع الفتاة فى اطار من الانغلاق الابوى المطلق وازاء ما يصدر عنه من قرارات هى الاغلال تطمس الفكر وتذبذب الذات وتكبل الخطوات وتعقد اللسان وتبيت المبادرة الواعية والارادة الحرة ، وتشاء الصدف مرة أخرى أن يقترن هذا الاتجاه الجديد فى طفولة فائزة بقرب موعد الارتقاء الى التعليم الثانوى الذى تجاوزه فائزة بأيسر جهد قد افكتك النجاح لا لصعوبة فيه ولا لنقص فى قدراتها ولكن لصعوبة التكيف مع اتجاه جديد لم تهضمه ومرحلة جديدة كانت تقف همة من سبقها من فتيات العصر دون تحقيقها وحتى ان استطاعت الواحدة منهن تحقيقها تحول الافكار الجائرة دون التقدم فيها أشواطاً . لقد فرحت فائزة بهذا النجاح اذ كانت تأمل أن تجد فيه العون على الافلات مما هى فيه ، والمساعد على التخلص ولو لحين من أجواء الاسرة . كانت ترى فى النجاح فارقا آخر يعمق الابعاد بينها وبين عمارة فيضيف الى فارق الملامح والحصال فارقا آخر هو المستوى الذهنى الذى كانت تراه فارقا هاما يباعد بين الاذواق ويدعم الشخصية ويفتح البصر وينعش البصيرة ، انه فارق يزيد النفور عمقا والاحتقار مضاعفاً ، كانت تحترقه لانه الخادم ، تزدريه لانه الساذج ، تمقته لانه البسيط تمجه لانه الابله وتكرهه لانه الجاهل . وفى هذا اليوم وعلى غير المألوف من عادة أبى الوفاء عاد مبكرا الى المنزل قبل منتصف النهار وبين يديه صحيفة يومية هى كل ما اعتاد أن يعاشره من المقروءات ، كانت الجريدة نافذته الوحيدة التى ينظر من خلالها الى ابعاد الواقع الاجتماعى ، ودخل على

غير عادته من الباب الخلفى ليجد خضراء منشغلة باعداد طعام الغداء وفائزة على مقربة منها تنظر تارة الى حركات أمها وتستمع طورا الى ما ينطق منها من أغان خفيفة وتنظر طورا آخر الى الألق البعيد عسى أن يتراءى لها ولو قبس ضئيل مما يخبئه لها المستقبل وفجأة قطعت تأملاتها نداءات مفاجئة مصدرها صوت أبها الاجش معلنا فى فرح ظاهر عجز أن يكتم تأثيره عليه : لقد نجحت يا فائزة وما كاد ينتهى من بث هذا النبأ السار حتى تعالت فى المنزل زغاريد فرح ملات المكان وجمعت الجيران ، كانت مظاهر البشر بادية على كل وجه وعبارات التهاني على طرف كل لسان ولاول مرة منذ أكثر من سنة عرفت الابتسامة طريقها الى ثغر فائزة التى هزما النبأ فجعلها تتقبل التهاني من الاقارب والجيران ، ولاول مرة لم تقو فائزة على التحكم فى عواطف الفرع ، هذا الفرع الذى يبدو لعامة الناس فرحا بالنجاح وللأسرة فرحا بالتحول الاجتماعى الذى بدأت تخطو أولى خطواتها فيه ، لكنه كان بالنسبة لفائزة يتجاوز ما كان القوم يظنون انه بالنسبة اليها فرح باضافة فارق اجتماعى آخر يعمق الهوة بينها وبين عمارة ، فرح يبعدها ولو لآمد قصير عن جو المنزل ويقربها من الاجواء التى كانت تمنى النفس بها ، أجواء الدراسة وحياة المبيت وطابع أمسيات السبت والآحاد فى الاحياء العصرية من المدينة حيث الاختلاط الذى تتكافأ فيه الفرص وتتساوى فيه المستويات وتتجاوب فيه النفوس ، حيث التفتح على حضارة المدينة التى ما رأت لها وجودا فى بيئتها القروية الجافة وفى محيطها الاجتماعى التقليدى ، لشد ما كانت تستهويها الدراسة فتشتاق اليها خاصة بعد فراغها من لقاء كان يجمعها من حين لآخر بابنة خالتها « نورة » تلك التى كانت تحدثها باطناب واطراء وتعددها بأن سوف تكون الى جانبها فى هاتيك الاجواء الجديدة التى لم تعد تفصلها عنها الا أسابيع قليلة ، ايه ما أبطاك أيتها الايام ألا فلتسرعى بالانطواء ولتترحمى لانه لا يمر يوم منك الا وينزاح معه جزء من وطأة هذا الاختناق والكآبة الضاربة بأطنابها على البيت والتى لا أحد سوى يشعر بثقلها ، ألا فلتمرى أيتها الساعات لان فى انقضائك بشارة خلاص لى من أجواء الاسرة القاتمة وانه ليعز فى نفسى هذا الفراق وخاصة فراق والدى الحبيب الذى يحنو على ويلطفنى حتى عندما يكون فى سورة الغضب وهو الذى يسعى لارضائى مهما كانت مطالبى صعبة المنال ، انه ليعز على ان افارقه . كم اتمنى من الاعماق لو انه كان فى امكان أبى ان يناصرنى فى محنتى التى كانت من صنع يديه ليته يتجرأ على أن يقول

للتقاليد لا ، مسكين أبى ! انه مثال للابوة الطيبة لكنه بات مغلوبا على أمره عاجزا عن أن يقف أمام تيار التقاليد الجارفة والعادات الحمقاء ، انه لا يزال صغيرا أمام عظمة التقاليد لينا هشا أمام فيض شخصية خضراء ، أمى التى كانت تزدد مع الايام حدة وصلابة فى المواقف ومزيذا من المساندة لعمارة . وتشقضى سنوات الدراسة وتحمل معها لفائزرة رتبا من التفوق تزدد معها مظاهر الانوثة فيها فتتضح معالم شخصيتها ، وها هى الايام تمر والمستوى يرتفع والفوارق الاجتماعية تزدد عمقا وملامح الاحتقار لعمارة تزدد عتوا لقد تغافرت كل هذه المعطيات لتجعل من عطلتها الصيفية موسم جنى للاحزان وتراكم للمنغصات انه موسم الانطواء والعزلة تلك العزلة التى أردتها لنفسى اذ لم يكفى أن أظل رهينة جدران المنزل حتى أكبل ثانية برهينة التقاليد العمياء ان حالتى لتدعو الى الاشفاق وأنا أرزح تحت رهينة ثالثة أثقل وأشد وطأة هى الارتباط بهذا الذى لا أحب ، بهذا الذى لا يساوينى ولا أشعر معه بالرضا والتكافؤ والانسجام ، لقد عرفت عمارة فتى دائرا فى فلك جاذبية أمى ، لقد عرفته يتحرك فى اطار ما يصدر له منها من أوامر ، لقد عرفته الخادم الغبى الذى لا يخشى خطره على الحريم وها هى الايام قد بدأت تكشف فيه عن فحولة العبد فى رواية شهرزاد ، لقد عرفت فيه الغلام الذى لا يعصى لها أمرا ولا يناقش لها طلبا ، عرفته الفتى المطواع اللين الذى لا يعرف للمجابهة لونا ، عرفته انسانا فى حاجة الى العطف والشفقة عليه والوقوف بجانبه ، ولكنى ما استطعت أن أتصور نفسى أن أكون من نصيبه يوما ما أو أن تربطنى به الخطوبة ، ترى ما السر فى اصرار امى على أن تزوجنى بعمارة ، عمارة الذى ليس فيه ما يرضى طموحى وغرورى ، أليست هى التى كانت تؤكد أن قيمتى وجمالى ليس فى امكان رجل واحد أن يقوى على احتماله ، أليست هى الفائلة بأنه يجب أن يصهر عديد الرجال بعديد صفات الكمال فى شخص رجل واحد حتى يعادل قيمتى ، عجيب والله هذا التحول السريع فى شخص والدتى ، ترى ما وراء هذا التحول فى مواقفها ؟ ترى ماذا وراءها من مبررات ؟ وماذا خاف هذا التحول من أسرار ؟ ! عجيب أمر هذا التواضع فى الشروط التى كانت تضعها والدتى فى الزوج الذى تراضيه لى كفء أترى ما الذى جعلها تغمض عينيها عن كل راغب وتصد الباب أمام كل خاطب ؟ فهذا عبد النبى وذاك صلاح وهؤلاء فتية كلهم رجولة وحزم أضافوا الى علو الهمة رفعة الشأن والى حسن الاخلاق المستوى العلمى الرفيع ، ترى ما الذى جعل أمى تصر على موقفها وتموت فى رأيها ؟ ترى هل قد تحول عمارة بين عشية وضحاها الى

فتى يرضى ضموحات والدتى ؟ بحيث غطت شخصيته ما فى اعماقها من رغبات ، وانى لى وانا الفتاة التى لم تملك بعد حق الرفض فلم تترك لى التقاليد حتى حق التعبير عن خصائصى كانسان . نعم لم يكن فى وسع فائزة الا ان ترضخ وان تتضرع بالصبر وقبول الامر الواقع على مضض حتى يقضى الله امرا كان مفعولا . وهامى السنوات العشر التى قضاها عمارة فى بيت أبى الوفاء قد بدأت تثمر تغييرا فى ملامحه وهيئته فى مظهره وملابسه خاصة اذا علمنا ان وراءه خضراء التى تسعى الى اظهاره بالمظهر اللائق ، لقد ساعدته على ابدال ملابسه التقليدية بملابس أخرى عصرية بدا فيها عمارة مكشوف الرأس مخلوق الذقن بارز الشاربين يحمل فى معصمه ساعة وتتدلى من عنقه « كرافات » نعم لقد استطاعت بزته العصرية ان تغير منه المظهر وان تجعله مقبولا لا نذريه العين ولكن هذا التغيير الذى طرأ عليه دوما سطحيا فى مستوى المظاهر لم يقو على الغوص فى الاعماق او ان يمس منه اللباب لا يزال عمارة هو عمارة لم يتغير منه الا المظهر اما غباوته وسذاجته فلم ينل منها البهرج الخارجى شيئا ، لقد كانت هذه محاولة من خضراء عليها تستطيع بها ان تقرب عمارة الى قلب فائزة ولو مؤقتا وعلى الايام أن تأتى بعد ذلك بالبقية ، ولكن أنى لفائزة الفتاة المثقفة التى لم تعد تفصلها عن الجامعة الا شهور قليلة تمر فيها الايام كثيرة فلا يمر يوم الا وتزداد المأساة تعقدا ولا ينقضى جزء من يوم الا ويذكرها بقرب الموعد الالتحام مع من لا تحب ، ترى كيف السبيل الى الخلاص من كل هذا ؟ كيف السبيل الى الافلات من هذه الضغوط ؟ ان الشباب حولى يلهث لاهيا والفتوة حولى تصرخ لاعبة والمرح يملا حولى كل فراغ لماذا لا اعيش انا ايضا هذه الاجواء ؟ لماذا لا اجرب بدورى حرية الاختلاط ؟ لماذا لا اصادق هذا وأتعرف على ذاك ؟ لمن ترانى احتفظ بالبراءة ؟ لمن ترانى احفظ عهد الرجولة ؟ ان كل شىء حولى يدعونى ويلج فى الدغوة يدعونى الى أن احيا شبابى وأتعم بفرصة العمر ؟ ترى لماذا اغبن نفسى ولمن ادخر هذه العفة ؟ ولمن احتفظ بهذا الجمال ؟ ولمن ارعى هذه الانوثة ؟ اترانى اصون الفضيلة واحول دون انتحازها لاجل عمارة ؟ اترانى احترم فى عمارة الرجولة ؟ اترانى اخاف التقاليد اتقاء للعار ؟ لا والله لن ابقى لعمارة أى أثر من ذلك لا والله سوف لن يتذوق منى حتى ولا الحنامة وسوف لن يقتل عطش شفثيه حتى ولا بالثمالة اتراه فى مستوى ان احتفظ له برحيق شبابى ؟ اتراه فى مستوى ان احتفظ له بتاج العفة منى مصونا ؟

يتبع

الضحية

« ... انها الانانية وحب الذات والتشبث بالتقاليد الزائفة والمحافظة العادات الموروثة البالية هي التى جعلتنا ننحو هذا النحو العقيم ونسلك هذه السبيل المتلوية فنصل الى ما نصل اليه وتكون المأساة . »

... باحدى قرى ريفنا الجميل المنتشرة فى روعة وجمال بين الروابى الخضراء والسهول الخصبة التى اشتهر أهلها بزراعة الأرض وغراسة الأشجار المثمرة وتربية المواشى ، وبمنزل صغير متواضع من تلك المنازل المتناشرة هنا وهناك كان الشيخ ابراهيم يقيم مع زوجته صالحة ووحيدتهما سلمى فى سعادة وقناعة .
رسلام .

والشيخ ابراهيم رجل طويل القامة ، قوى البنية ، فى الخمسين من عمره . وهو كهل فلاح صغير مستور الحال فى غير تفصل ولا املاق ، اشتهر بين قومه بجده وصدقه وصراحته ، لا تخلو طبيعته من «دعة» قد تبلغ حد الصرامة أحيانا ، أما زوجته ففى الثامنة والثلاثين من عمرها ، طيبة القلب رقيقة الجانب تميل قامتها الى القصر بعض الشيء فى امتلاء قليل لا تخلو من وسامة وجمال . وأما سلمى فهى فتاة فى شرح الشباب تتدفق نشاطا وحيوية ، رشيقة القوام ، نحيلة الخصر ، نائرة النهدين ، ممتلئة الشفتين ، دقيقة الأنف ، فى عينيها زرقاء ، سوداء الشعر طويلته ، مع سمرة جميلة محببة وهى بلا منازع أجمل فتيات القرية وأكملهن خلقا .

كان المنزل يقع على ربوة صخرية تشرف على مراعى ومزارع القرية ، به أربع حجرات ، احداها يشغلها الشيخ ابراهيم وزوجته والثانية مخصصة لابنتهما سلمى وحجرة المؤونة والأثاث ثم حجرة المطبخ . وفى مواجهة المنزل - وعلى قيد خطوات منه - أقيمت حضيرة كبيرة هيئت من أغصان السدر بها ربضت فى أمن وسلام نعاج الشيخ ابراهيم وعنزاته ، وقريبا منها وقفت فرسه البيضاء فى كبرياء وجلال . وذات ليلة دخلت سلمى على والديها وكانت تظنهما وحدهما فشعرت بانحرج عندما وجدت الحاج عبد العظيم معهما .

والحاج عبد العظيم ، عجوز ، أرمل ، عقيم ، فى الستين من عمره ، قصير القامة ، كبير الأنف ، عريض الجبهة ، حاد النظرات ، له شارب كثيف يكاد يغطى فمه الواسع ، ووجه طفت عليه التجاعيد ، وجسم ضامر نحيل . وعلى سجاد بالى قديم ، جلست سلمى بعد أن سلمت على الحاج عبد العظيم ، وابتدرتها أمها فى صوت متودد رقيق قائلة :

لقد جاء الحاج عبد العظيم يخطبك ، انه يوم المنى ، يوم المنى ، يوم أراك عروسا يا ابنتى .

وتنتفض سلمى انتفاض الطائر الذبيح وتصيح بأمها فى فزع :
- ماذا تقولين يا أماء ؟

وفى تهيب تجيب الأم ، وهى تحاول تجنب العاصفة التى توشك على الهبوب :

- لقد وافق أبوك على تزويجك من الحاج عبد العظيم وستحتفل بزواجكما ان شاء الله .

وتحس الفتاة بقلبها يكاد يتوقف عن النبض وتصيح بأمها فى استنكار بينما مضت قطرات باردة من العرق تنحدر فوق جبينها الأسمر الملتهب :
- ان هذا لن يكون ابدا .

ويصيح بها والدها فى ثورة وغضب وقد نهض مجلسه فى انفعال .
- اخرسى يا بنت الكلب والا حطمت رأسك .

وتسكت الفتاة على مضض ، ويتخرج الموقف ، وتلتقى الأعين فى نظرات حائرة قلقة ، ويخيم على الغرفة وجوم ثقيل ويفادر الحاج عبد العظيم المجلس مستأذنا فى الانصراف فتودعه أم سلمى ، ويرافقه الشيخ ابراهيم حتى باب المنزل معذرا اليه عن مسلك ابنته أماء ، ويعود الشيخ ابراهيم الى الغرفة حيث كانت أم سلمى تتحدث الى ابنتها فى عتب هادى قائلة :

- انه من الغباء - يا عزيزتى - أن ترفضى الزواج من رجل واسع الثراء عظيم المكانة بين قومه كالحاج عبد العظيم من أجل شاب فقير لا حول له ولا قوة .

وتقاطع الفتاة أمها في تهيج وانفعال .

- لكنى أحبه يا أماء ، ان أحمد شاب عظيم الايمان بالله كريم النفس مستقيم مكافح . ويقتحم الشيخ ابراهيم الغرفة في ثورة واحتياج ، وتتطلع اليه سلمى في ذعر . أما زوجته فقد هزتها المفاجأة فمضت تحملق فيه في بلاهة وجمود . ويتقدم من ابنته ويمضى يهزها في عنف ويصفعها في قسوة مزجرا في غضب .

- أنت عاشقة اذن يا فاجرة ؟

وتنتبه الأم من ذهولها وتتدخل محاولة انقاذ ابنتها . وتمر لحظات ويخيم السكون على الغرفة في النهاية ، وتتجه سلمى الى غرفتها وهي تبكى في حرقة وصمت ، وعلى السرير الخشبي الصغير في الحجرة المظلمة مضت تتقلب في ألم ، وتتحسس جيدها وتذكر كيف أن والدها كاد يقتلها خنقا لو لم تسارع أمها لانقاذها في الوقت المناسب ، لن تنسى ما قاله لها وهو يضغط بكلتا يديه على رقبتها في قوة ووحشية . ان كلماته مازالت تدوى في أذنيها صاحبة معربة .

- منذ متى كان للفتاة حق اختيار الزوج الذي تريده ... أو حق المناقشة أو الرفض ...

وفي صباح اليوم الثاني، تستيقظ من نومها خائرة القوى شاحبة الوجه مقرحة الأجفان بعد ليلة قضتها مسهدة باكية رأت فيها أحلامها وآمالها تتحطم ، ويمر اليوم بطيء الخطى كأطول أيام عمرها ، وعندما يصطبغ وجه الأرض بدماء الغروب وتنشع القرية بالسواد ويردد الكون أنشودة الموت في سكون رهيب ، تسير في خطوات حذرة مترددة واجفة القلب مضطربة النفس مشتتة الأفكار للقاء الانسان الذي وهبته فؤادها .

وهناك حيث المزارع الغافية والمروج الباسمة والمراعى الحاملة التي مضت تردد في خشوع أغاني الرعاة التائهة . هناك على ضفاف النهر الجميل الذي شهد أول لقاء لهما والذي حفظ قصة حبهما الطاهر البرى ، رأت فتاه يقف في نشوة وذهول يستمع الى موسيقى المياه وهي تمزق بوشوشتها الرقيقة

الناعمة ذلك السكون الأجوف والفضاء العريض ، وفى صوت مضطرب تهتف به
وقد أخذت تتعجل الوصول اليه .

— أحمد ... أحمد !

ويسرع الفتى الى حبيبته ويأخذها بين ذراعيه فى شوق وحنين . وعلى
الصدر القوى الشاب مضت تنتحب فى حرقة ومرارة ، ويفزع أحمد وتهز
جسمه رعدة خفيفة ويسألها فى توجس وقلق وقد أمسك رأسها بيديه فى
حنان ومضى يتطلع الى عينيها الدامعتين فى حب وفضول .

— ماذا يبكيك يا سلمى .. ؟ ما الذى حدث .. ؟

وفى صوت يمزقه الألم تقول لحبيبها .

— خير لك ألا تعرف ، يا أحمد ..

ويهتف الفتى بحبيبته وقد زاده جوابها حيرة وارتباكاً .

— بل يجب أن أعرف كل شئ ، يا سلمى .. !

وتخلص نفسها من بين ذراعيه وتأخذه من يده ويمضيان فى سكون ، وعلى
الربوة المطلّة على النهر . جلست وجلس الى جانبها ، وقد عصفت به شتى
المشاعر والأفكار ، وبعد صمت مضطرب محموم وفى صوت موسيقى حزين
مضت تقول :

— لقد كانت الحياة حتى نهار أمس جميلة عذبة ، كل ما فيها كان يدعونا الى
حبها والتعلق بها ، كانت حياتنا أسطورة جميلة الفصول ، والأسطورة لا تعيش
الا فى الخيال ، رباه أترانا نجتمع الليلة لنفترق ولا لقاء .. ؟ ماذا أقول لك
يا حبيبى .. ؟ لقد أصبحت مخطوبة لرجل يكبر والدى بعشر سنوات .

ويرتفع صوتها قليلا وهى تقول فى مرارة وأسى .

— أيرضيك أن نلاقى هذا المصير التعس .. ؟ لنهرب يا أحمد ! لنهرب بحبنا
وسعادتنا بعيدا عن هذه التقاليد الجائرة والعادات البغيضة .

وتركن الى الصمت ويهتز جسدها فى قوة وتنخرط فى بكاء مرير ، ويصيح
أحمد فى فزع كمن يشك فى سلامة سمعه :

— ماذا تقولين يا سلمى .. ؟ أصبحت مخطوبة .. ؟

ويمسك بها ويمضى يهزها وهو يقول فى شبه صراخ .

- قولى ان ذلك غير صحيح .. غير صحيح ..

لكن سلمى تظل على صمتها ولا تجيب . ويصمت هو الآخر ويسرح بنظره فى الفضاء الساكن العريض كأنه يبحث فيه عن الحقيقة الضائعة .

وبعد صمت قصير يتابع يقول فى صوت يفيض بالمرارة والألم .

- انها النهاية الطبيعية لكل حب طاهر برىء ربط بين شخصين حكم عليهما أو على أحدهما بالفقر والحرمان فى مجتمع ركع لاقبح العادات ، وسجد لأرذل التقاليد يحرم الرق فى وقت يسمح فيه ببيع نسائه بالمزاد العلنى فى سوق المطاعم والشهوات .. ليتهم يعلمون أن الزوجية السعيدة الحققة هى التى رفرف الحب فى سمائها بأجنحته الطاهرة البيضاء . أما فكرة الهروب فانى لا أوافقك عليها يا سلمى ولا تنسى النتائج الخطيرة التى سوف تتولد عن ذلك العمل ان نحن اقدمنا عليه ، يجب ان نتزوجى من الرجل الذى اختاره لك والدك ، أما أنا فأرجو أن تذكيرنى كصديق يكن لك كل ود ووفاء ويهمه أن يراك هانئة سعيدة .

وفى ثورة وانفعال تصيح سلمى بحبيبتها ، وقد نهضت من مكانها فى حركة عصبية .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- أحمد أرجوك ! وفى خطوات بطيئة متناقلة مضت وهى تردد فى صوت يختلط بالنشيج بينما سار أحمد خلفها فى صمت راطراق .

- لقد انتهى كل شئ اذن .. ؟ وسكتت لحظة ثم مضت تقول وعبراتها تبلل وجهها الشاحب .

- حسنا سوف أفعل كل ما تريده يا أحمد . ورجائى الأخير اليك ألا تنسى الفتاة التى أحبتك حبا لا يعرف الحدود لن تمنحى آثاره من قلبها حتى الموت . وفجأة تتوقف عن السير وتلتفت الى حبيبها وتأخذ يديه المحمومتين بين يديها المرتعشتين وتتطلع اليه فى حب وألم وفى صوت تخنقه الدموع تهتف وهى تمضى مبتعدة .

- الوداع يا أحمد .. الوداع .

ويقف أحمد مكانه فى ذهول وحيرة وجمود يشيع أمله الراحل بعينين دامعتين وقلب حزين ، وتبتعد سلمى ويلفها الليل بردائه وتمر لحظات وينتبه

الفتى المفجوع فى حبه الى نفسه فتهزه الحقيقة المدمرة ويهم بدعوة حبيبته اليه ويفكر فى اللحاق بها . لا .. يجب الا يفعل ان سلمى لم تعد له ، لم يعد له أى حق فيها .

وفى صباح يوم جميل من أيام الربيع الدافئة العطرة تزف سلمى الى عريسها الشيخ فى حفل بهيج وتمر الايام ، وتشقى بحياتها مع زوجها الشيخ ، وتصبر وتختزن همومها فى قلبها . وذات يوم ذهبت لزيارة أبويها ، وفى كثير من التردد والحياء تتحدث اليهما عما تعانیه من قساوة زوجها وفضاضته برغم سعيها الدائب لتحقيق جميع رغباته ، وينتهرها والدها ويطلب اليها فى حزم بالأ تعود الى الحديث فى مثل ذلك الأمر مرة أخرى ، وكانت خيبة أمل كبرى لها ، ومنذ ذلك اليوم ولم تحاول التحدث الى والديها بشئ من أمرها وضائق المسكينة بحياتها ذرعا . وكانت أسعد لحظات تلك اللحظات القصيرة المختلسة من عمر الزمن التى تخلو فيها الى نفسها والى ذكرياتها العذبة وماضيها المشرق السعيد .

وذات أمسية ندية الانسام معطرة الاعطاف من أمسيات الصيف ، غادر الشيخ عبد العظيم منزله متجها الى منزل صديقه الشيخ مبارك حيث اعتاد بعض شيوخ القرية أن يسمروا كل ليلة ، وعندما خلت سلمى الى نفسها مضت تستعرض حياتها الحزينة الشقية الجرداء فتركت المنزل وقد استبدت بها حالة من التهيج والانفعال . ومضت تسير وتسير ، فى عينيها دموع ، وفى صدرها نار وفى خيالها صورة زاهية الالوان لفلاح شاب .

... وفى صباح اليوم التالى وبمكان ما من القرية عثر جماعة من الفلاحين على جثتها ملقاة على شاطئ النهر .

وكانت الصدمة أعظم من ان يحتملها قلب الام فلحقت بابنتها فى مساء نفس اليوم .

محمد الخموسى الحناشى

القراءة الثانية لحكاية قديمة

تغطى سلسلة التلال الواطئة الخط الموصل بين النهر الطويل الذى يفصله عن المدرسة الشارع المؤدى الى « القرية » وبين نهر صغير ينأى عن مساحات سبخة . تنتشر بصورة متفرقة . حتى تصل تل « الذهب » . ومن ثم تتسلق اكتاف التلال الواطئة

يظهر الماء الذى تلفظه الارض السبخة صفحة معدنية صقيلة تعكس بريقا يتألق فى العيون .

كانت الارض تترامى على مدى الارض ... وكانت الريح الخليجية تهب ، فتشيع الدفء فى الاشياء الملقاة على مدى الارض ...

يغذ الطلاب العدو خلف التلال باتجاه المدرسة ، فتتلطخ أحذيتهم البلاستيكية بالوحل . وهم يعبرون الخط الطويل الى الجهة الثانية حيث العاقول والشوك يشك سيقانهم من خلال السراويل الممزقة ، والاثواب الوسخة ... يخرج الدم قطرات يابسة فوق السيقان السمراء ...

تنتهى سلسلة التلال عند « الذهب » . وبالقرب منه يضطجع بيتنا الطينى ، الذى تختفى فيه أشباح مختلفة ، تتقابل فيما بينها ، وتنقل الى البيوت المتواربة على جهاته . هكذا يقولون . فاضطربنا لتركه ...

« أنا ...

من أنا ؟ ...

أعرفون هذا الجسد ؟. أتعرفونه حين يغور فى أرض الشوك
والعاقول ؟. فان لم تعرفوه ، فانظر الى الجادة الملتوية كثعبان أسود - هكذا
تتوضح للبصر من سطح المدرسة .

يترك الطالب الصف ليتخذ الجادة سبيلا نحو « الذهب » ... حينئذ
يتململ المعلم بمكانه كأنه يستعد لعمل ما . وبعد فترة وجيزة كان على بعد
خطوات من المقعد . وبسرعة أخذ يذرع أرضية الغرفة جيئة وزهابا ... وعلى
اثر ذلك كان الطلاب ينظرون اليه بدهشة ... فكادت أقلامهم الملونة تسقط
من بين أصابعهم ، فوق أرضية الغرفة التى كان السكون لها ثوبا ...

ترك الاطفال المعلم لهيماته التى انفجرت . وراحت الاقلام تضرب
الدفاتر برتابة ...

وحين يضع قدميه فوق عتبة الباب الخارجية يحس بهواء بارد ، ورذاذ
خفيف يرشق وجهه ...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

جاء صوت من الخلف :

- لقد انهزم ...

كان الماء ينزل خفيفا فوق جسده الذى بدأ يتيه فى خضم الرذاذ
والهواء . انساب صوت من الغرفة بعفوية :
- دعه ... دعه ...

السماء ترذ رذاذا خفيفا - حيث تحتضنه الارض السبخة ... فتكون
كلوح زجاجي ، يرشق انعكاساته فى البصر - لتستقبله مساحات الشوك
والعاقول ، فتغتسل ، لحظتها كأن الطلاب يرقصون وسط الحديقة ،
يتصايحون ، ويغنون .

تختفى زرقة السماء خلف ركام الغيوم التى تسير لتتداخل بباطن
بعضها البعض ، مكونة صورة ضبابية قاتمة . ثم تسرع اليها كتل سوداء
آتية من الشمال . وخيط من الضوء ، لا يلبث الا قليلا ، ثم يتلاشى خلف
الكتل السوداء .

يتعلق بصر الجسد الذى غطاه الماء بالسماء . يستغرق فى متابعة
ما يحدث ، حتى يشعر بالارهاق ...

يركض ...

- « آه . لقد وصلت . ان التل يقترب منى ... »

جاء الصوت :

« لم يبق من المكان شئ »

صرخ الفتى :

« مدينتى لن تندثر »

جاءه الصوت مختلطاً بهزيز الريح وصوت المطر :

« فاسدة كانت فانتهدت . ألا ترى ؟ . كانت غضبة أعادت عاليها سافلها .

ألا تفهم ؟ »

« مدينتى »

تتقلص تجاعيد وجهه لتنظر الخطوط وكأنها صورة طفل صغير . خط
فمه الذى يختلف بين لحظة وأخرى مع كل حركة تحدث فى وجهه . وتعمق
خطوط جبينه . وتدور شفاته . وبسرعة متناهية انهدير النشيج الى الداخل ،
فأخذ يكبر . تم ضل عليه كل احساس فى اللحظة ذاتها ، وتشابك فى أعماقه
حتى فقد الاحساس بالرداذ المتساقط .

تنبجس آثار النشيج ليخرج صوت حزين يدوى مع ثقل المياه المرتطمة
على الجسد ...

« مدينتى »

فتح عينيه حتى آخرهما .

وفجأة شعر بقدميه تضربان الوحول بعنف ، لتحمله حيث ينام التل .

تنبت قدماه فى الارض الطينية ، فتشكل آثارا ذات خط متعرج ...

تنتهى حتى حافة التل المتآكلة ... ثم تستمر لتصعد كتفه المنحدر ... ثم
تختلط الآثار بين اتجاهين مختلفين ...

يقف ...

يدور مع حركة العينين المملوءتين بماء المطر ...
يحاول أن يستعيد توازنه ... ولكن جسده استمر في حركته اللولبية ..
واستمرت الارض تدور .. حتى أحس بأن الاشياء جميعها تسقط من عينيه ..
يقف ..

ولكن مساحات السبخة كالعجلة تدور .. والشوك والعاقول المغسول
ينغرز في جسده .. والمياه تضرب جسده الضعيف ...

أراد أن ينقل قدمه اليمنى خطوة واحدة .. ولكنها التصقت بالارض
اللزجة .. بينما راح رأسه يعبر المسافات .. يحاول أن يمسك به .. فالتل
سينقلب عليه .. بوحله .. وحجارته .. وحصاه .. وتماثيله الصغيرة .
التي كثيرا ما أعطاها للمعلم ..



تقلت قواه منه ..
يمضى الزمن بسرعة ..
سقط على سطح «الذهب» الطيني ..
يمضى الزمن بسرعة ..

فتخف شدة المطر .. وتهدا أنفاسه .. لحظتها تحسس رقبتة .. عينيه ..
ظهره .. قدميه .. هرب بصره بعيدا ليغيب عنه كل شيء . وتحل أماكن
ضبابية .. تصعد .. تهبط .. تصعد .. تهبط .. حتى فقد القدرة على أن
يبقى واقفا .. فسقط كخشبة فوق الوحل ..

بينما كان المطر يتلاشى تدريجيا ..

(هكذا هي القرية .. يسقط فيها كل شيء .. يأتيها الدخان من فوق ..
ومن تحتها يأتي الطين .. كل شيء فيها يتطاير .. ثم يرتطم بالارض .. لقد
جاء البأس بيانا .. هكذا هي القرية كما يروي الشيخ الجليل محمد حسن)



أنا ...

طالب في مدرسة ...

على بعد ليس بالقرب من المدرسة تقع قريتي « » وحسب مقياس الشيخ محمد حسن انها « رمية عصا » .. هذا الشيخ كان يسير منذ أن تصلبت عظامه .. ويسير .. ولا يمكن أن يقف لحظة . وكثيرا ما كان يتكلم عن القرية .. عن البشر الذين كانوا يقطنون القرية منذ سنين لما يعرفها أحد بالضبط .. كانوا غلاظا .. يسكنون الجبال العالية حيث تقبع هناك قصورهم الشامخة .. وكانت الاموال تتناثر من حولهم ذات اليمين وذات الشمال ..

المعلم (. . .) كان يرسم .. ويحب كرة القدم .. ويحب القراءة والكتابة بنهم .. ويشغف برسومنا .. وكثيرا ما كان يشير الى الابداع والجمال في رسومنا أمام آبائنا ومعلمينا الذين يسخرون منا .

تقدم منى وقال : ألا تعرف أنك تشير رغبتى فى الكتابة

ولم أفهم شيئا مما تفوه به ..

ولكن الشيخ « محمد حسن » حدثنى عن هذا المعلم وقال :

<http://Archive.org/details/akhdlt.com>

— انه يحب الالوان ... ويحب الغناء الحزين ..

ولم أعرف كلام الشيخ « محمد حسن » الذى كان يقول الشعر .. ويسرد الحكايات عن الايام الخوالى التى كان يعيشها الرجال الغلاظ .. حكايات الاولين ..

أنا ...

أذهب .. أرجع .. أخاف .. اقرأ كثيرا .. أركض . أحب كرة القدم .. أحب قراءة القصص الخيالية .. أحب أن أرسم .. أرغب فى البكاء أمام هذا المعلم .. فلابك الآن مع غناء الشيخ محمد حسن الحزين ..

* * *

يتوقف ..

من بين الصمت بحس بخطوات شخص تدنو منه .. يتعالى الايقاع ليشق حاجز السكون الذى كان لفترة طويلة يهيمن على المكان ..

- من أين جاء ؟

اخترقت عيناه الرذاذ الخفيف الذى بدأ يتلاشى ولما يبق منه سوى لون فضى شفاف يغطى المدرسة .. فيتراكم من حولها .. ليشكل تكوينات رمادية كأنها رسوم طفل ..

تحمس بأنامله أضلاعه واحدا واحدا .. عظامه ..

امتنع الجسد عن كل حركة كان يود أن يقوم بها .. حينما شعر بشخص يقترب منه . ركز بصره فى الوجه الوسيم الذى أطل عليه لحظة شروعه بالنهوض ..

نظر الى الوجه فخاله يعكس رطوبة الرذاذ الصقيلة ..

(تعالوا .. فأنا لا أعرف هذا الوجه الآتى من بعيد ... أكون واحدا من الذين جاء ذكرهم فى حديث الشيخ محمد حسن ؟ !)

يحاول أن ينهض .. فيهب الى الارض .. يشم الوحل .. يحفر بيديه الارض الطينية ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تأكد أن أضواء عينيه تخفف شيئا فشيئا عن الارض .. فتختفى عنه آثار قدميه . وتضيع عن بصره الغيوم التى تسوقها الريح .. البساتين البعيدة .. المنازل المتناثرة .. القرية .. المدرسة .. المرأة التى تتشمع السواد .. المرأة التى خرجت تصرخ ما بين منزل وآخر ..

تنغلق عليه كل الابواب - برمشة عين فلا يسمع الا صوت انغلاقها العنيف - يراكم فى كل الاتجاهات .. يقع .. ينهض .. يحاول أن يجد منفذا .. ولكن من دون جدوى .. يحس بصيرير باب يفتح .. يخرج ..

بدأ الضباب يتجلى من قدامه .. ليلمح وجه المعلم الذى يكبر فى حدقتى عينيه ..

يسقط ثانية فوق الوحل المغطى بطبقة مياه .. والمشوب بالحصى .. والقواقع والتمائيل الصغيرة ..

يزحف بكل ما أوتى من قوة .. ليتشبث بملابس المعلم الذى أمسك به
على عجلة وحمله بعيدا ..

صرخ المعلم : المدينة اندثرت !!

(أصاب المدينة زلزال فدمرها .. هكذا روى الشيخ محمد حسن عن
أبيه عن جده عن ...)

ارتخى الجسد .. أخذت البرودة تسرى فى خلاياه وبسرعة متناهية ..
ضغط المعلم بأصابعه الصلبة على جهة القلب .. ذلك بشدة وبسرعة .. ولكن
الجسد مازال يفقد حرارته .. وتتوضح أمامه زرقة شديدة مشربة بحمرة
خفيفة لا تلبث قليلا حتى تتلاشى .. لتعود الزرقة مرة أخرى .. وبشكل
خطوط فوق الصدر ..

أحس حينها بدمعتين تسربتتا من عينيه قهرا .. لتسيلا ببطء على
الحدين .. ثم تسقطان على الجسد الثلجى الساكن ..
- لقد مات .. مات

ARCHIVE

http://Archive.org

قال الطالب : ولماذا أننا بالذات ؟

قال المعلم : لا أعلم

تلاشى المعلم بين أصوات الطلاب التى انفجرت فجأة مثيرة لغطا عاليا ..
ضرب المعلم بقبضة يده اللوحة التى كان يسهم برسمها .. فحدث
صمت مفاجئ .. انهمك الطلاب بعدئذ بتلوين لوحاتهم وكان شيئا لم يحدث ..
أعاد اللوحة الى موضعها .. وقف أمام الطلاب .. ينقل نظراته الحادة
الى لوحاتهم ووجوههم .. ثم أخذ ينقل خطواته ببطء شديد بينهم ..

قال الطالب : ولكن رسومي غير جيدة

سكت المعلم على مضض ثم أردف : قلت انها رائعة

(يقول الشيخ محمد حسن : كان الفتى من بين نفر نزر خرجوا ساعة
الاندثار الذى كتبه الناس على جلد الغزال .. وتفوهت حوله العجائز ضمن
حكاياتهن الشتوية .. وكثرت الروايات ..

انطلق بملابسه الرثة .. ووجهه الذى سودته الشمس .. وقدميه الحافيتين .. حتى أصبحت ساقاه كخيطة قطن .. وكان التعب يهد جسمه الضئيل .. والعرق ينز من أديم وجهه .. وحين ابتعدت عنه المدينة .. لمح ألوان البحر والسماء .. والدخان .. والنيران تختلط بشكل عشوائي .. فتصبح لوحة أشبه برسومات ولدى التى يعشقها المعلم .. ونظر الى الصخور وهى ترتفع كندف قطنية متناثرة ثم تسقط فى بحر موحل - هكذا يتضح لى - .. انه الآن يقف بين جدران المدرسة ليرسم كل ما فاتته من الحكاية)

ترك الطلاب أقلامهم .. ورفعوا رؤوسهم المندهشة . وركزوا أبصارهم فى وجه المعلم الذى لم ينبس ببنت شفة ..

اقترب المعلم من لوحته .. أخذ الفرشاة ..

صرخ : ثم حدث ما حدث ..

رفع الفرشاة المغموسة باللون الاسود .. فضرب اللوحة عدة ضربات .. فاحتفى اللون الابيض .. واختفى التخطيط خلف خطوط عشوائية سوداء ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- وبعد ...

- لقد انتهت ...

- انتهت ؟ !

توارى المعلم عن أنظار الطلاب .. وهو يضرب بقدميه الارض بعنف ..

اخترق البصر الجثة - المرمية فوق الارض ذات البرك المائية - وقطرات المياه النائمة بعشق فوق الاشواك والعاقول .. وآثار الاقدام البشرية المغروزة بالارض الطينية .. وآثار أقدام الحيوانات التى كانت ترعى قريبا من الطريق .. وآثار عجلات دراجات هوائية وسيارات ..

كل شئ يبدو ساكنا .. فالنهر ركبت مياهه .. الغيوم تباطأت فى زحفها نحو الغرب ... ثقلت عيناه حتى سكنت عند الجسد الذى سقط لتوه ..

أحس بأنه يجب أن ينقل قدميه .. ليحشرهما بين هذه الوحول المتراكمة .. يسير .. بين لحظة وأخرى ينظر الى آثار قديمة ..

عندما يقفز ما بين نبات العاقول والشوك .. يحاول الا تغوص قدماه
 فى الوحول .. ثم يسير فى طريق ملئو تكتنفه آثار أقدام وحوافر .. لا يلبث
 أن يوغل فى ممشى ضيق تحف به شجيرات القصب والحلفاء من جانبيه ..
 كان العرق يتصبب منه حبيبات على الرغم من الريح الباردة الخفيفة الآتية من
 الشمال .. والتي تهتز لها الشجيرات الصغيرة ..
 يرجع مسرعا ..

صرخ : أين الجثة ؟
 ركض فى كل الاتجاهات .. فلم يجد سوى أثرها المرسوم فوق الارض
 الموحلة ..

أحس برغبة شديدة فى البكاء وبالحوف .. حين لمس شجرة « التوت »
 الكبيرة وهي تهتز بعنف ..
 فكر : « لابد أنه يدوب خلفها .. »

تملكه الحرف ونسى الرغبة فى البكاء .. ومن دون أن يعلم خطت قدماه
 خطوة .. خطوتين .. اضطرب عليه العد .. فعاد ثانية .. وثالثة .. ولما
 اقترب من الشجرة .. لمحها ساكنة سكون الموت .. ولكنه رأى شخصا
 مجهولا .. ممسوح الملامح .. يدنو منه .. ويصرخ به .. مسح وجهه ..
 ثم دعه بشدة .. بعثر شعره الطويل المبتل ..
 وحين اختفى الشخص .. عاد فألقى بثقله فوق أثر الجثة .. ارتعش
 الجسد ..

ثانية يركض صوب شجرة « التوت » .. التصق بها .. ثم تعلق بها ..
 وابتدأ يتدلى .. ويتأرجح ولكن شجيرات القصب منعتة من الحركة ، فأحس
 بآلم ضعيف ينبجس من بين ساقيه الضعيفتين .. دارت الارض به - فقد لمس
 الارض تدور كما قاله المعلم .. أحس بصدق المعلم .. وبكذب المستخدم الذى
 أصر على سكون الارض - أحس بوخز فى صدره .. وبدأ العرق يتفصد من
 جبينه الاسمر .. والذى ارتسمت عليه آثار تجعدات خفيفة ..

كل ما حوله يصعد ثم يهبط .. وأحيانا يدور فى دوامة تغشى بصره ..
 حتى كاد يسقط وسط النهر الصغير ..

✱ ✱ ✱

حين لمح الطالب يسرع باتجاه المدينة .. قفز فجأة .. وأطلق
لقدميه العنان . حيث السدة الترابية .. وظل يركض .. ويركض .. وبصره
لا يكاد يسقط عن الطالب .. وعن الرذاذ الذي بدأ ينثال ..



- أستاذ ..

- حلمت ..

- أنا .. !

« يمتطى الفارس سهوة جواد أبيض كالثلج .. فيوغل في أرض
بعيدة واسعة لما يبصرها من قبل .. كالريح يجرى الجواد .. مخلفا الأرض
الجديدة .. مقتربا من الصحراء التي كثيرا ما رآها .. تتلقفه الشمس
العمودية .. كانت تنفذ الى جسده من خلل الملابس .. فينز العرق من كل
خية فيه .. فتلتصق الرمال المتناثرة من أقدام الجواد .. والهابة مع الريح
الخفيفة التي تهت بين فيئة وأخرى .. يحس بلزوجة جسده ..

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سهل الجواد ..

أحس بالتعب يطوقه .. وبأنه يخوض في مكان ليس له قرار .. وأن
سيره يضيع في مساحات الرمال والفضاء الواسع وأشعة الشمس الحارقة ..
أجبر جواده على السير البطيء .. شزره الجواد بنظرة عجلى .. ثم نكس
رأسه .. وسار بتثاقل ..

تمضى اللحظات ببطء يكاد يقتله ، فالمياه في وعائه قد نفدت ، وحلقه
يجف ، وجسده يحاول أن يتدارك أشعة الشمس المائلة ..

الرمال تجرفه بتيارها الشديد .. أرهقته .. جعلت الجواد يدور حتى
أحس بجسده يرتطم فوق الرمال ..

حين أفاق تلمس رأسه ، فأحس بألم شديد حاول أن ينهض ولكن
جسده لما يستطع . حاول أن يزحف .. ولكن من دون جدوى ..

من بعيد جاءه الجواد .. دنا منه .. ثم انحنى فتشبث به بكل ما أوتى
من قوة .. حتى أمسك ظهره ..

أحس بالجواد يوغل به بعيدا .. والشمس قرصا أحمر يقترب من خط
الافق والغيوم متناثرة تخفى القرص بين لحظة وأخرى ..

لمح فارسا يخرج من قرص الشمس .. ركبته الدهشة ..
- « من أين جاء ؟ ! »

وفى لحظة استغراقه بالاندھاش ، كان الفارس يقترب منه ، فتبين وجهه
المضى .. بينا كانت الشمس تهوى الى الغروب فى لحظة سريعة كاد
ينساها .. فجأة انبثق نور وهاج من الارض والسماء فى لحظة واحدة .. ثم
أتى لينير كل شبر فى الصحراء .. بعدها ظهرت مدينة جديدة .. لم تر
عيناه مثلها سابقا .. مدينة تزدهم بالبنائات .. تحف بها الاشجار ذات اليمين
وذات الشمال .. يحمل فيها كل انسان وردة .. و ..

جاء الفارس :

- أسرع يا صاحبي ..

- من تكون أنت ؟

- أنظر لمدينتنا

- مدينتنا ؟ ..

أنا أحلم

يعنف صرخت والدتى : انهض لقد جاء الشيخ محمد حسن

كان يغوز فى المسافات الممتدة أمامه .. منذ زمن اختلفت الروايات فى
تحديده ..

قال الشيخ محمد حسن : « فيما مضى .. وفى كل يوم تغرب فيه
الشمس كان أبى يحدثنى :

- هذا الفتى كان يسير ..

وأعرف أنه لن يقف طيلة اليوم .. فقد روى الجميع أنه كان يسير ..
وأن آثار أقدام حافية ارتسمت بمحاذاة آثار حذاء .. تتجه نحو المدينة .. »

تترك فتاة . ذات جديلة طويلة ، ووجه أسمر ، وجسد أهيئ . المدينة المتاخمة للقرية .. بعد أن تخطت شوارعها واحدا واحدا ، وبحذر شديد ..

قاربت شرق المدينة المطلة على النهر الكبير . وكان خط سيرها يتعرج مع خط الأشجار الذي يختفى عند السدة الترابية ، وتمتد هذه حتى تشارف الجسر الحديدي قرب انعطافة النهر الشديدة ..

فى المدينة كان الاب يسرع من شارع الى آخر يبحث عن ابنته التى اختفت .

تبحث الام .. تصرخ .. تمرق فى مسالك المدينة .. تندفع الى الابواب .. تدفعها بعنف صارخة :

- ابنتى !! ابنتى !!

الذين كانوا فى الشوارع : شوارع المدينة .. تحركوا أولا نحوها وهم يلحمون دهوعها تختلط بالرذاذ المتساقط .. ثم هرولوا يتبعون الفتاة ..

(سرت فى الدرب الذى تحف به شجيرات القصب من الجهة اليسرى .. مخلفا المدرسة تصغر وتصغر حتى اختفت من عيني .. لتركن فى ظل السدة الضيقة التى تحاذى النهر الصغير ..

فى يدى رواية عربية ..

ببطء، تتجمع السحب من فوقى .. ثانية حيث تبدو حركة الريح ثقيلة ..

عن يمينى كانت فتاة تغنى بين قطع الاغنام .. حين أبصرتها وطاولت النظر اليها . ظهر لى الشعر المبلل الطويل فوق الكتفين .. وخلف الظهر .. وفوطتها تفلت من رأسها .. وملابسها تلتصق على جسدها الذى تحمله قدمان موحلتان

- من يطاردها

تساءلت .. ولكن الجواب ضل عن عقلى .. فأنا لم أر هذه الفتاة من قبل .. انها غريبة عن القرية .. لا..

ولذت بصمتى الطويل ..

سألنى الطالب : أين هى ؟

— ابحث عنها ..)

يبدو الطريق امامها كثعبان ملتو .. والقرية كتلاطينية متراكمة ..
تسرع اليها الاغنام .. وسط الرذاذ المتساقط .. تسرع الريح
تخطو الفتاة بوهن حيث تلتصق قدمها بالارض الموحلة .. وبصعوبة
ترفعهما ..

كادت تقترب من القرية التى هيمن عليها السكون .. فلا أثر لثرثرة
الرجال .. وبكاء الاطفال .. وأغاني النساء ..

وكان الكلب الهرم يبسط ذراعيه عند بناء قديم .. فلا يتحرك .. حتى
بدأ كقطعة من حائط البناء القديم .

كان الشعر طويلا يصل الكتفين .. وكانت العينان واسعتين تبصران
المدرسة .. البيوت .. النخلات .. قطيع الماشية .. وكان الوجه صقيلا يتماوج
فوقه الضوء الفضى .. فيختلط مع لمعان طبقة المياه المنهمرة ..

تسرع الريح أكثر .. لتسوق الغيوم بعيدا .. وتحل غيوم جديدة
رمادية .. بيضاء .. سوداء ..

يغمر الرذاذ جسدها الذى يسرع صوب الفتى .. هذا الفتى الذى قال
كل من عرفه : انه لن يقف طيلة اليوم ..

قال الطالب : تحدثت مع الشيخ محمد حسن .. فأخبرنى :

« لا أتذكر كل الذى يتحدثون عنه .. فقد تكون مخيلتى أهملت الجوانب
المهمة من الاحداث »

وأكد : « ليس كل ما يقال صحيحا .. فأنا لم أفعل شيئا مما تقوله »

قال المعلم : ولكنك يجب أن تفعل ذلك .. فان هذا الشيخ بات يخرف ..

— وماذا تريدنى أن أفعل

- افعل ما جرى لك ..
- اذن سأركض .. ولكن السماء لن تمطر ..
- أركض ..
- آه ! آه ! !
- ماذا ؟ !
- لقد بدأت أتذكر ..
- ما قاله الشيخ محمد حسن ؟ ..
- لا ..
- ماذا .. اذن ؟
- ما فعلته قبل لحظات ..



ARCHIVE

تتلاشى السافة بينهما .. بينما كانت السماء ترد ببطء .. وفي اللحظة التي وقفا فيها نظرا الى الاشجار المغسولة بالمياه الى الارض الموحلة .. والى الغيوم ..

- أين الفارس ؟ ..
- (كانا يحلمان)

سأنته بدهشة :

- أنت حتى ؟ ! ..
- أجن ..
- لكنهم قالوا ..

قاطعها : دعيهم في لغوهم ..

ملاحظة

(سكت الطالب عن الكلام .. فوجب على المؤلف أن ينهى حكايته .. ولكنه خرج فى تلك الليلة المطرة يبحث عن الشيخ محمد حسن .. لينتزع ما خفى عنه ..

- كفى .. كفى ..

- دعونا الآن نكف عن الكلام ..

- لا .. لا .. لا ..)

أوقفت فتاة المؤلف فى شارع القرية الوحيد . وفبلته . ثم قدمت له قدح لبن .. وبسرعة اختفت .. بينا ظل - وهو فى غمرة الدهشة - يبحث عن الوجه .. عن العينين .. عن الشعر المسترسل .. وعلى امتداد الدهشة .. شرب اللبن ومضى فى طريقه ..

هامش :

(الذهب : تل يقع قرب قرية « الشام » على بعد فرسخ عن مدينة الصويرة)

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أخبرنى الشيخ محمد حسن :

- أن الذهب لم يكن مدينة عامرة منذ مئات السنين .. انهم يقولون ما لا يعملون . ولكنه نهر يسمى بهذا الاسم .. وكان يمر وسط مدينة جميلة .. وحدث فى ليلة ليلاء أن جاءت غيمة سوداء تطير فوق جسد ضخم يروون أنه غول عظيم - وحين أصبح الصباح .. كانت المدينة أحجارا .. وترابا .. والنهر أخذ يبتعد عنها الى مكان لا يعلمه الا الله ..)

سالم القرعاوى

الصويرة - واسط - العراق

ناجية بنت التلي

« ان أردت أن تقدر الألم فانك لا تستطيع تقديره عند امرأة تظافر عليها الفقر الموروث عن عائلتها والعزوبة ». فلقد اقترنت هذه الكلمة في ذهنها بصورة الصحراء القاحلة التي ينقطع فيها عن الانسان الماء والظل فيعاني القحط والآم العيش ولكنه يستسلم في النهاية ، وكادت هي تستسلم بدورها لو لا أن جاءها أمل مفاجئ مع قدوم جارتهم صلوحة ، حينما دخلت منزلهم هذا الصباح وهمست في أذنها بأن الله سيسهل أمر زواجها ، فاشرق في أعماقها فرح مفاجئ ، ولكن الحياء جعلها تداريه ، وجعلها تضغط على مشاعرها كي لا تفيض عليها فتدفعها الى الرقص والتصفيق ، أو الى الجرى عدوا مع الصبيان في شوارع القرية . وكيف لا تفعل ذلك وهي التي ظنت أن قطار الزمن قد تعدى بها محطة الشباب ، وسار بها شوطا نحو الكهولة ، الشيء الذي جعلها تياس من قدوم أى طالب ليدها ، وها ان رحمة الله واسعة تجود به بعد يأس .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لم تكن ناجية بالجميلة فيتهافت الشبان عليها لجمالها ، ولم يكن والدها من أغنياء قربالية حتى يطلبوا يدها طمعا في ميراث سمين . ولكنها كانت تحت الوسط في سلم الجمال . وكانت عائلتها في قاعدة الهرم الاجتماعي من حيث السعة والرخاء . وقضى والدها التلي حياته عاملا مع الزبالين بالبلدية ، ومات ولم يترك الا عائلة كثيفة جلها من البنات . وكانت هي الكبرى ... فكدحت في البيوت وعملت مع أمها ما شاء لها الله أن تعمل ، حتى تستطيع التحصل على القوت لآخواتها . ورحمة الله واسعة فها انها تشملها هي أيضا ، فلا بأس اذا تزوجت في مرحلة متأخرة المهم أنه سيكون لها بيت . واستنجدت بالمرأة لثرى وجهها فوجدته قد تغير من صفرة باهتة الى احمرار وردى يرسمه الفرح العارم على وجوه السعداء ورافقت خالتها صلوحة الى السانية أين تعمل أمها . وهناك الحت العجوز على حسناء كي تسرع بالموافقة وباحضار لوازم الاستقبال لأن الخطاب سيأتون من الغد . وأخبرتها بأن زوج ابنتها المنتظر موظف بإدارة المياه بالعاصمة ، وفلاح بمنزل أبي زلفة في آن واحد . واقترحت صلوحة عليها بأن

تعضر لوازم الاستقبال لأن الخطاب سيأتون من الغد ... ووافقت الأم دون تردد ، وكيف لا تلبى رغبة صلوحة ، وهى العارفة بجل أهل الوطن القبلى ، ثم لعل هذه المصاهرة الجديدة هى نعمة من نعم الله ، فلربما ينقذها صهرها الموظف الفلاح مما هى فيه من خصاصة وحرمان ... فهى تذكر فى كل حين كيف تقضى العيدين فى كل سنة ، وكيف أن الجيران من أهل البر يجودون على أبنائها باللحم أو بالدارهم وهى تقبل ذلك مرغمة لأنها لا تريد أن تكون فى موقع ضعف ، ينظرون اليها ويتهامسون : « مسكينة هذه المرأة ، ومساكين هؤلاء اليتامى ! » . لقد ملت سماع مثل هذه العبارات وان الأوان أن تخرج مما هى فيه .

وفى ذلك اليوم حدثت فى المنزل حركة غير عادية ، فغسل الحوش بالماء ، ومسحت الأرض والحيطان ، وذهبت الأم الى متجر من متاجر القرية وأشترت بالدراهم القليلة التى آخزنتها - ما يلزم الضيوف من الغد . ومضت تلك الليلة كالحلم وتخيلت ناجية عريسها الجديد فى صور شتى . ولكن صورة واحدة رسخت فى ذهنها فرأته شابا جميلا شهما يحميها وينقذها مما هى فيه من خصاصة الفقر وحرمان اليتيم وهرج العائلة الكثيفة ، وتخيلت نفسها معه تسير فى شوارع العاصمة فيحدثها عن آماله وأحلامه ، وتحدثه بدورها عن السيارة الجميلة ، والمنزل الانيق والمصوغ النفيس ، ويعرج بها الحديث فتذكر له عدد الأطفال الذين ستنجبهم ، فهذا اسمه طارق والآخر اسمه زياد وتلك اسمها ألفة والآخرى اسمها آمال . واسترسلت مع خواطرها حتى انقضى النهار وجاء الليل فلم تنم الا أقله .

وفى صباح الغد جاء الخطاب وقدمت أم العريس هاشة باشة . وحدثت حسناء عن رغبتها والتمست منها أن تلبى طلبها فهى امرأة قد تجاوزت الستين لا تستطيع القيام بشؤون المنزل وحدها ، فرأت من الحكمة أن تبحث عن زوجة لابنها حتى تعينها ، ووافقت حسناء بلا تردد بعد أن علمت أن له منزلا وأرزاقا ووظيفة وازداد حلم ناجية بعد أن عين العرس فى ظرف خمسة عشر يوما . وما أسرع ما طالب أهل العريس بكتابة عقد القران بدعوى أن أخاه العامل بالمانيا سيرجع بمناسبة عطلة الصيف ، وسوف لن يمكث طويلا بتونس ، وهو لابد أن يحضر عرس أخيه ، وتم العقد وعين موعد العرس .

أثناء الزفاف جاء الكثير من أهل القرية يسعون بالهدايا لناجية ، فهي فقيرة تستحق الاعانة ، وهي متقدمة فى السن كادت تتعنس ، لذا فرح لها الناس بخلاصها من العزوبة . وعادة أهل القرية أن يحملوا أدباش العروس الى بيت زوجها صباح العرس : وجاء بعض الاحباب بسياراتهم لحمل الادباش الى قرية أبى زلفة حيث يقطن الزوج . وصحب الأدباش ثلة من الصبايا والفتيات بداوا فى التهليل والغناء والزغردة منذ أن تحرك الركب قاصدا بيت العريس ، وفى القرية المقصودة لم يستقبل الركب أحد من أهل الزوج وظنوا أنهم لم يهتدوا للمنزل ، وجاءهم رجل يسعى ودلهم على منزل العريس . وكان أثناء أشارته يضحك ، ونزلت الصبيات فاذا المنزل لا يزيد على غرفة عشتت فيها العنكبوت وتكدس عليها الغبار ، وسكنت فى أسسها الفئران فأكثرت فيها الحفر . وتساءلت صويحبات العروس عن المطبخ وبيت الراحة ، وأثاث العرس . ووقع جدال عنيف بين الحاضرين . واشتدت الضوضاء . وجاء الجيران . وكثر المتطفلون ، وألف صبيان القرية جوقة وشرعوا يصفقون ويضحكون ويفنون ويذكرون أثناء غنائهم بأن العريس مخبول العقل .. ويشتد خبله كلما اشتدت به حرارة الصيف ، واذا اشتدت عليه نوبة الخبل فانه يضرب من يصادفه ضربا موجعا ، وسمع ذلك أهل ناجية وظنوا أن الأطفال يلعبون فران عليهم الصمت ، وقطعت حيرتهم امرأة من الحاضرين عندما سألتهم :

– لماذا تتجادلون ؟

قالت احدى الفتيات :

– البيت لا يصلح لعروس جديدة !

أضافت فتاة أخرى قائلة :

– ان البيت معد للفئران والعناكب !

أجابت المرأة وفى صوتها حزن ظاهر :

– ان المشكلة فى العريس أما أمر البيت فهين .

سألتها امرأة من أهل العروس :

– ماذا تعنين بهذا القول ؟

أجابتها ناصحة :

– ان العريس مخبول يعرفه كل الناس بذلك ، اذا شفى يوما يمرض أياما وهو فى هذه الفترة فى حالة مرض وأخشى أن يقتل ابنتكم فى ليلة الدخلة .

قالت أخت ناجية فى حيرة :

– انهم غرروا بنا ... يا للشياطين ! ..

قالت صبية ثانية :

– ربما لهذا السبب عجلوا بكتابة عقد القران .

أجابتها المرأة الناصحة :

– لقد حكم عليه الطبيب بالزواج كى يشفى من مرضه .

فعلق رجل ساخرا :

– مصائب قوم عند قوم فوائد ..

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

واشار رجل آخر على الركب قائلا :

– هيا نرجع من حيث جئنا .

وضحك الأطفال ضحكة طويلة عبرت عما فى الموقف من سخف ومأساة . وتحرك الركب من جديد فى طريق الرجوع ، وخيم على الناس صمت ثقيل فلم تعد هناك زغردات وولولات وصيحات فرح اذ الكل يفكر فى همومه وفى الموقف الذى كان فيه .

كانت ناجية فى ذلك الوقت عند الحلاقة تصفف شعرها وتعطره تحضيراً للقاء عريسها المنتظر فى الليلة المقبلة ، ورأت الركب راجعا وهى فى دكان الحلاقة ، فظنته ركبا آخر لعروس أخرى ، وانحنت عليها امرأة وقالت لها :

– هيا اخرجى لقد أبطل العرس .

حسبتها تمزح معها فلم تلق لقلوبها بالا . ولما رأت المرأة جادة في قولها خرجت وهي تبكى وتندب حظها ، وانخرطت معها بقية النسوة في بكاء طويل ، وانقلب العرس الى ما يشبه الماتم ، ورأت ناجية ان المستقبل أسود قائم واعتقدت في قرارة نفسها أنها لن تتزوج في حياتها أبدا ، فاول رجل خطبها ظهر انه سكير ، ففسخت خطبتها ، والثاني طلب يدها خطأ ظن أنها احدى الجميلات اللاتي دخلن بيت أبيه ، ولما تقابل معها أول مرة انسحب دون رجعة ، والثالث هذا الاخير ظهر مخبولا وعاطلا عن العمل وليس كما قالوا لها موظفا وفلاحا ، بل انه يقضى كامل يومه يهذى وينتقل من حارة الى حارة ، يروع أهل القرية وينشر بين الصبيان الرعب .

اشتد حزن ناجية حتى أغمى عليها ، ولكنها مع مرور الايام رجعت الى حياتها الرتيبة ، فقد ظنت أنها ستفارق العزوبة بسلام . لكن ها انها تعود اليها فتمضغ مرارتها من جديد وتمضغها الوحدة وتنتابها مشاعر غريبة مختلفة فيها الحب المكبوت ، والحزن الذي يحاول أن يتفجر . ولكن فكرة واحدة كانت طاغية على كل ما في أعماقها ، وبلدت على سطح مشاعرها كدلفين البحر العظيم ، اذ رأت أنه اجدى بها أن تنتحر او أن تضع حدا لحياتها بطريقة من الطرق حتى تضع حدا لما تعانيه من عذاب.

<http://Archivebeta.Sakhrit.co>

نور الدين بن بلقاسم
قربالية I - I - 1977

مناجاة

حبيبى أخذوك ، قيدوك ، كبلوك . منعونى من زيارتك أو صدوا
الابواب دونى منعونى من رؤيتك وأنت مغاول تقبع بركن من الزنزانة . اننى
أعيش هنا مع ذكرباتى وسط بيتنا الصغير يا حبيبى كل شىء كما تركته :
فراشك ، ملابسك ، المائدة وباقة الزهور التى أهديتها لى يوم أخذوك
وصورتك تملأ البيت كله .

ها أنت الآن معى :

تداعب شعرى ، تشيع الدفء فى روحى وفى جسدى المشتاق اليك ،
وتشبعنى حكايات ، همسات ، قبلات ولا أشعر بالوقت يمر ولا تعصف الوحدة
بقلبى ولا يطول ليل . آه متى تمر ليلالى الشتاء الباردة وتهدأ العاصفة
وتشرق الشمس ! الوقت يتمطط ممضا ثقيل كأيام عذابى ... اكتشفت طوله
ومراته وأنت بعيد .

تبرد غرفتى وتمتلئ هواجس وتأتينى حيرتى مع كل غروب . أتصفح
الكتب المبعثرة ، الكثيرة أرميها ، امزقها ولن تسلينى والسجائر التى تعصف
بصدرى البائس وتنهك قواى الواحدة تلوى الاخرى لم تملأ الفراغ .

تعال وانظر كم أحبك . تعال لتدرك بنفسك وفاء المرأة . ترى لو كنت
أنا مكانك وأنت مكانى ماذا تكون النتيجة ؟

هل كنت تحافظ على عهدي ؟ أم أنك رجل كالآخرين يقودك طلب اللذة
الى الارتماء بين أحضان كل امرأة تجد عندها الدفء وتهرب من البيت فى
الليل وتجلس بهانة تحتسى كؤوس الخمر وتضيع وسط الضجة فتنسانى .

أما أنا فباقية هنا بغرفتى وكر حبنا الملائكى ولن اطلب الدفء من غيرك
ولن أشرب الخمر فانساك سأظل انتظرك رغم لياالى الشتاء الباردة ورغم خوفى
من الاشباح التى تتسلل الى مخدعى مع كل غروب .
الانتظار ممل ولكن ما حيلتى اذا احببتك وما ذنبك اذا ابعدوك وأخذوك
منى الى حيث انت الآن .

اننى متأكدة انك تفكر فى ، ترانى مرسومة على جدران الزنزانة وعلى
وجه السجان وفى وجوه جنود الاعداء وهم يجلدونك . اننى اذكر يوم أخذوك
كنت تحتضننى ، تقبلنى بلهفة لحظة الوداع وظل صوتك ينادينى حتى
تلاشى وضاع وصار بعيدا وكنت وعدتنى بالعودة بعدما طلبت منى ان احفظ
عهديك واقسمت لك انى سافعل وما أنا باقية على العهد يا حبيبى وستعود
أنت وكل الابطال الذين صاحبوك وستلاقى كل فتاة حبيبها وسط أهازيج
الفرح وعردة الحرية وتشرق الشمس فتذيب الجليد ويزول الكابوس ويعود
الدفء الى قلوبنا والفرحة الكبرى فاصبر يا حبيبى انك ستعود وانى قابضة
هنا فى الانتظار .

اثبت لا تستسلم تحت سياط الجلاد لا ترضخ الى التعذيب والتنكيل
فالوطن بقلبك ثابت وهم يحاولون اصطياده وانظر الى الشمس من خلال
الثقوب القليلة بنافخة الزنزانة انها ستصل الى هذه الارض فى يوم من الايام
فتذيب الجليد وتجفف رطوبة الزنزانة وكل الرغيف المخضب بالدماء ، المعفر
بالتراب فغدا سنأكل الحبز الطازج ، سيزول الكابوس و ينقشع الظلام ولو
بعد ليل طويل .

سيأتى الفجر ليمسح الغبار عن ارصفتنا والفقر عن وجوهنا الكالحة
وستعود الابتسامة والحركة والحيوية من جديد الى الضيعة ، وتعود الطيور
المهاجرة، وقد اختفى الصياد الذى كان يطاردها برصاصه، وتعود الطمأنينة الى
قلوب الاطفال فينعبون لعبة الترحلق على النلج الناصع ولعبة الغميضة بدون
أن يخشوا الوقوع وسط كمين أو الاصطدام بلغم دسه الاعداء تحت التراب
لاصطيادهم هم وآبائهم .

— ما أجمل الاحلام يا حبيبى وما أجمل الانتظار اذا كان الحبيب
سيعود .

نجاة العدوانى

الفهرس

العدد الثالث - جويلية 1980 - المجلد الثاني عشر

تصدير	قصص	3
كذلك يقتلون الامل	سمير العيادى	5
موائد	نافلة ذهب	21
لقاء مع محمد الهادى بن صالح	أحمد ممو	25
الجسد العارى والأوراق	محسن بن ضياف	32
عامل	أبو بكر العيادى	34
هاجس الحلم والواقع في أقاصيص محمد العروسى	على العريبي	38
الأرواح في حفل تنكرى	تعريب : المنجى الردادى	46
واحة برتقال على ضفة بحيرة البلوط	محمد الهادى بن صالح	62
فراغ في دار أبى الوفاء	محمد التهامى بوطبة	66
الضحية (I)	محمد الخموسى الحناشى	76
القراءة الثانية لحكاية قديمة	سالم القرعاوى	82
ناجية بنت التلى	نور الدين بن بلقاسم	97
مناجاة	نجاة العدواني	102

انتهى طبع هذه « المجلة بمطبعة « الشركة التونسية لفنون الرسم »
في شهر أكتوبر 1980 - تحت عدد 80/862
الايداع القانونى - الثلاثة الأشهر الرابعة ل : 1980
